دراسة نقدية تحليلية لأهم مصادر الدراسة

- أولاً: المصادر اللاتينية
- ثانياً: المصادر البيزنطية
- ثالثاً: المصادر الأرمنية والسريانية
- رابعاً: المصادر العربية

obeikandl.com

استعان الباحث بمجموعة مهمة من المصادر التي تنوعت بين اللاتينية والبيزنطية والأرمنية والسريانية والعربية، وكان لكل منها دوره وأهميته على مدار الدراسة، وقد استعان الباحث بمجموعة من المصادر اللاتينية المهمة، ويأتي في مقدمتها مجموعة مؤرخي الغال وفرنسا التي أصدرها الرهبان البندكتيون في باريس خلال الفترة الممتدة من عام ١٧٣٨ إلى عام ١٨١٨م[١]، وهي من أولى المجموعات الضخمة التي شملت مصادر التاريخ القومي في أوربا، وقد بدأ دون بوكيه Don Bouquet في نشرها في باريس عام ١٧٣٨، وصدر منها ثلاثة عشر مجلداً حتى عام ١٧٨٦م وتوقف إصدار باقي المجلدات خلال الثورة الفرنسية ولكنها عادت بعدها إلى الصدور[٢].

ويحتوي الجزأين الخامس عشر والسادس عشر على سجل وثائقي حافل يشمل العديد من المراسلات والخطابات والوثائق المهمة في معالجة السياسة الخارجية للمملكة عموماً وفي عصر الملك عموري خصوصاً ومن ذلك اشتمالها على الرسائل التي أرسلها الملك عموري ومقدمو الداوية وإيمري بطريرك أنطاكية وغيرهم إلى الملك الفرنسي لويس السابع[٣]. وتنبع قيمة هذه الخطابات في كونها مراسلات رسمية

([1]) Recueil des Historiens des Gaules et de la France, Par des religieux Bendictins, 24 vols., Paris 1738-1818.

([٢]) نُشرت مجموعة مؤرخي الغال وفرنسا المذكورة في طبعة أخرى نشرها ديليل L.Delisle في باريس أيضاً بداية من عام ١٨٦٨ إلى عام ١٨٨٠م مع ملاحظة أنه اقتصر على المجلدات التسعة عشر الأولى.

([٣]) راجع في ذلك:

Amalrici, Hierosolymorum Regis, ad Ludovicum, in RHGF, t. XVI, pp.36-37; Amalrici, Regis Hierosolymorum, ad Ludovicum, in RHGF, t. XVI, pp.37-38; Amalrici, Regis Hierusalem, ad Ludovicum, in RHGF, t. XVI, pp.59-60; Amalrici, Hierusalem Regis, ad Ludovicum, in RHGF, t. XVI, p.157; Amalrici, Regis Hierusalem, ad Henricum, in RHGF, t. XVI, pp.187-188; Gaufredi Fulcherii, procuratoris militæ Templi, ad Ludovicum, in RHGF, t. XVI, pp.60-61; Gaufredi Fulcherii, procuratoris militiæ Templi, ad Ludovicum, in RHGF, t. XVI, pp.62-63; Bertrandi De Blankafort,

وفي صفة الذين يرسلونها وأهميتهم السياسية، ذلك أنها تُعدّ تقارير صريحة ومباشرة عن الأحوال التي تمر بها المملكة والإمارات الصليبية وما تواجهه من أخطار من قبل المسلمين والبيزنطيين، وفي رصد تطور قوة المملكة أو ضعفها وفي التعرض للمشاكل التي قلما تعرضت لها المؤلفات التاريخية مثل تعيين تواريخ أحداث بعينها وتحديد أسماء السفراء الدبلوماسيين وصفتهم وصيغ المعاهدات وأسبابها ونتائجها.

وقد أفادت خطابات عموري التي أرسلها إلى لويس السابع عام ١١٦٣م/٥٥٨هـ في معرفة تحركاته في مصر في حملته التي يُشار إليها بالحملة الأولى، بحيث أفصحت خطاباته عن السبب الذي جعله ينسحب بحملته عن مصر بعد إدراكه لصعوبة الاستمرار فيها مما جعله يرسل خطابه الأول إلى لويس السابع بوصفه وسيلة استغاثة، ولكن لم يُعره الملك لويس انتباهاً، أما الخطابات الأخرى التي أرسلها كل من عموري وإيمري ومقدمو الداوية في عامي ١١٦٣-١١٦٤م/٥٥٨-٥٥٩هـ فقد أبرزت حقيقة في غاية الأهمية وهي سياسة الحذر أو سوء الفهم التي استهل بها عموري علاقاته بالإمبراطور مانويل[1]، وقد ظلت نبرة حذر عموري من بيزنطة قائمة في

---

magistri militiæ Templi, ad Ludovicum, in RHGF, t. XVI, pp.59-60; Aymerici, patriarchæ Antiocheni, ad Ludovicum, in RHGF, t.XVI, pp.61-62; Amalrici, patriachæ Hierosol, ad Ludovicum, in RHGF, t. XVI, pp.167-168; Amalrici, patriachæ Hierosol, ad Ludovicum, in RHGF, t. XVI, pp.168.

(1) راجع مضمون هذه الخطابات في ملاحق الرسالة وأيضاً:

Amalrici, Hierosolymorum Regis, ad Ludovicum, in RHGF, t. XVI, pp.36-37; Amalrici, Regis Hierosolymorum, ad Ludovicum, in RHGF, t. XVI, pp.37-38; Amalrici, Regis Hierusalem, ad Ludovicum, in RHGF, t. XVI, pp.59-60; Gaufredi Fulcherii, procuratoris militæ Templi, ad Ludovicum, in RHGF, t. XVI, pp.60-61; Gaufredi Fulcherii, procuratoris militiæ Templi, ad Ludovicum, in RHGF, t. XVI, pp.62-63; Bertrandi De Blankafort, magistri militiæ Templi, ad Ludovicum, in RHGF, t. XVI, pp.59-60; Aymerici, patriarchæ Antiocheni, ad Ludovicum, in RHGF, t.XVI, pp.61-62.

خطاباته حتى خطابه المؤرخ في ١٢من يناير١١٦٥م/٢٧من صفر٥٦٠هـ الذي بعثه إلى لويس السابع – أيضاً – حيث أوضح من خلاله - بشكل غير مباشر – مدى تغير اتجاه سياسته نحو بيزنطة التي لم تُدرج هذه المرة ضمن الأعداء المحيطين بالمملكة والإمارات - مثلما سطر عموري في الخطابات السالفة - وإنما أصبح نورالدين العدو الأساس(١).

وقد تأكد بعد قليل ما ورد في خطابات الملك عموري بمراسلة الأخير للإمبراطور مانويل، بداية لطلب التحالف الدفاعي لحماية شمال بلاد الشام وظهير المملكة في الوقت الذي يتحرك فيه عموري إلى مصر، ثم اقترن التحالف الأخير تدريجياً بالتحالف الهجومي من جانب مانويل وحده، بينما اكتفى عموري بالاعتماد على قوته عام ١١٦٧م/٥٦٢هـ بعد نجاحه الكبير في مصر في حملة ذلك العام، وبحيث لم يعد يريد بيزنطة كحليف هجومي وإنما دفاعي فقط، على حين استهدف مانويل من التحالف الهجومي مع عموري الحصول على أكبر المكاسب في مصر بأقل مجهود ممكن بعدما رأى ما حققته حملات عموري عليها في الأعوام السابقة، مما شجعه على مهاجمتها بمصاحبة الملك عموري، وعليه فقد كانت خطابات الملك عموري في عام ١١٦٩م/٥٦٥هـ إلى لويس السابع ملك فرنسا وهنري الثاني ملك انجلترا والبابا ألكسندر الثالث وغير هؤلاء من أمراء الغرب وملوكه؛ توخياً من عموري لعدم التوجه إلى بيزنطة أو طلب مساعدتها، وحينما لم يسعفه الغرب بتلك المساعدة كان التحول التام في سياسة الملك التي سلكت اتجاهاً واضحاً نحو الغرب

---

(١) عن أهم خطابات الملك عموري التي أرسل بها إلى الغرب وحوت بعض التفاصيل المشار إليها انظر:

Amalrici, Hierosolymorum Regis, ad Ludovicum, in RHGF, t. XVI, pp.36-37; Amalrici, Regis Hierosolymorum, ad Ludovicum, in RHGF, t. XVI, pp.37-38; Amalrici, Regis Hierusalem, ad Ludovicum, in RHGF, t. XVI, pp.59-60; Amalrici, Hierusalem Regis, ad Ludovicum, in RHGF, t. XVI, p.157; Amalrici, Regis Hierusalem, ad Henricum, in RHGF, t. XVI, pp.187-188.

وبيزنطة معاً، فبعث عموري بخطاباته مرة أخرى إلى كافة دول الغرب عام ١١٧١م/٥٦٦هـ ثم ذهب هو بنفسه إلى بيزنطة لالتماس مساعدتها.

وحينما لم يتلق عموري مساعدة من الطرفين فإنه بعث برسالة عام ١١٧٢م/٥٦٧هـ ثم برسالة أخيرة عام ١١٧٣م/٥٦٨هـ إلى لويس السابع وهنري الثاني يحثهما على تسوية خلافاتهما حتى يتسنى لهما مساعدة المملكة، مستغلاً الوعد الذي قطعه هنري الثاني على نفسه في الخروج بحملة صليبية إلى المملكة ولكن لم يستجب أحد لأي من رسائل الملك عموري أو غيره، اللهم بخلاف منشور البابا ألكسندر الثالث إلى الغرب الأوربي عام ١١٦٩م/٥٦٥هـ نتيجة لرسالة عموري إليه في ذلك العام، حيث حثّ ألكسندر الثالث رعايا الغرب على التوجه صوب المملكة ومساعدتها، وأصدر قرارات بالعفو والغفران لمن سيشارك في حملة كبيرة إلى المملكة[١]، وباستثناء ذلك لم يُقْدم أي من لويس السابع وهنري الثاني وألكسندر الثالث على الاستجابة للالتماسات التي حملتها خطابات الملك عموري.

وقد أوقفت هذه الخطابات الباحث على الكثير من التفاصيل، من ذلك على وجه الخصوص كيفية مواجهة ضرغام للملك في حملته الأولى عليها[٢]، كما ألمحت الخطابات إلى أسباب فشل عموري في الاستيلاء على مصر وصورت الحالة النفسية والعقلية السياسية التي سيطرت على عموري عقب اعتلائه العرش مباشرة[٣]، كما أبرزت الاتجاه الحذر لسياسة عموري تجاه بيزنطة ودلائل تغييره لسياسة الحذر تدريجياً، إضافة إلى التفاصيل المهمة التي ذكرتها عن تواريخ الأحداث السياسية مثل المعارك وأعداد الجيوش وأعداد الأسرى أو القتلى ونتائج المعارك وإظهارها لمدى تفهم عموري لموازين القوى في الغرب ومحاولاته الرامية إلى لمس أوتارها الحساسة في محاولة لاستجلاب مساعدتها، وعلى الرغم من قصرها فإنها أفادت الباحث بدرجة

---

1 - Richard, J., L'esprit de la Croisade, textes recueillis et présentes par Jean Richard, Les Editions du Cerf, (Paris, 1969), pp. 69-73.

2 - Amalrici, Regis Hierusalem, ad Ludovicum, in RHGF, t. XVI, pp.59-60.

3 - Amalrici, Hierosolymorum Regis, ad Ludovicum, in RHGF, t. XVI, pp.36-37.

كبيرة وتوافق ما جاء في أغلبها مع ما سطره وليم الصوري، مما يعني أنه اعتمد على نسخها الموجودة في أرشيف المملكة، وكذا اتفاق بعضها الآخر مع تفاصيل بعض الأحداث الواردة في المصادر الإسلامية، وقد انطبق ذلك جميعاً على ما ورد في خطاب إيمري بطريرك أنطاكية إلى لويس السابع عام ١١٦٤م/٥٥٩هـ، بحيث يصف إيمري معركة حارم[١] - في مقدماتها وأحداثها ونتائجها - وصفاً قارب به حقيقة ما أوردته المصادر الإسلامية، على حين كان خطاب عموري إلى لويس السابع عام ١١٦٩م/٥٦٥هـ متوافقاً إلى حد كبير مع ما أورده وليم الصوري في موضوع ذلك الخطاب[٢].

وأفاد الباحث أيضاً من مجموعة الوثائق الخاصة بملوك بيت المقدس التي أصدرها العالم الألماني روهرشت Rohricht[٣]. فمما حمله كتاب روهرشت العديد من الوثائق التي عالجت عدة نواح في سياسة الملك عموري، من ذلك الوثيقة التي عالجت دور عموري السياسي قبيل اعتلائه العرش بوصفه كونتاً لیافا وعسقلان عام ١١٥٤م/٥٤٩هـ متفقة مع ما ذكره إرنول في ذلك الخصوص[٤]، علاوة على وثيقة

---

(١) كانت حارم - قبل الفتوح الإسلامية – حيرة، وهي الحظيرة التي تحوط بالمواشي، ودامت على ذلك في صدر الإسلام. طولها تسع وستون درجة وثلاثون دقيقة، وعرضها خمس وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة، وقد بنيت حصناً ليحمي مواشي الروم من غارات العرب، ثم صاروا يجددون فيه ويوسعونه ويشيدونه حتى صار مقطعاً من صاحب أنطاكية لفارس من الروم، وكانت بنيته قديماً مثلثة الشكل ولم يزل على هذه الصفة. راجع: ابن شداد: الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، تحقيق: سامي الدهان، دمشق، ١٩٥٦م، جـ١، ق٢، ص٥٥-٥٦.

(٢) قارن خطاب إيمري بما ورد لدى وليم الصوري وابن الأثير فيما يخص معركة حارم. انظر:
Aymerici, patriarchæ Antiocheni, ad Ludovicum, in RHGF, t.XVI, pp.61-62.
وأيضاً: وليم الصوري: الحروب الصليبية، ترجمة: حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٥م، جـ٤، ص٢٩-٣٥؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، عنى بمراجعة أصوله والتعليق عليه نخبة من العلماء، ط٥، دار الكتاب العربي، بيروت،١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، جـ٩، ص٩٤-٩٦.

(3) Rohricht, R., Rogesta Regni Hierosolymitani, (Innsbruck, 1893, 1904).

(٤) قارن وثيقة روهرشت بما أورده إرنول بخصوص موقف الملك بلدوين الثالث من عموري عقب الاستيلاء على عسقلان:

أخرى حددت عدد جيش شيركوه خلال حصار عموري وشاور له في بلبيس عام ١١٦٤م/٥٥٩هـ[١]، كما أوضحت وثائق أخرى المنح التي وهبها عموري للأمالفيين في طرابلس عام ١١٦٨م/٥٦٤هـ[٢]، وكذا الامتيازات التي منحها الملك عموري للبيازنة لمشاركته في حملتيه على مصر عامي ١١٦٨-١١٦٩م/٥٦٤-٥٦٥هـ[٣]، مما أفصح عن عزم عموري على عدم الإفادة من بيزنطة في هذين العامين وبخاصة أن عموري منح البيازنة امتيازات واسعة في مصر حينما يتم الاستيلاء عليها[٤].

وبالمثل حمل هذا الكتاب الوثائقي مجموعة المنح والامتيازات التي قدمها الملك عموري للإسبتارية ولعدد من البارونات ولبعض الأماكن الدينية في المملكة سواء في صورة اقطاعات مالية أم منح الأراضي في مصر[٥]، وذلك في مقابل ما تعهد به الإسبتارية من تأدية عدة خدمات للملك عموري في حملة عام ١١٦٨م/٥٦٤هـ على مصر، وحينما عزم الملك عموري على غزو مصر في العام التالي بمساعدة الأسطول البيزنطي فإنه قام بتأكيد امتيازاته للإسبتارية[٦]. وقد أمدت كل هذه الوثائق الباحث بمادة مفصلة عن عدد الجيوش وأوقات التحرك، ووجَّهت الباحث إلى رؤى معينة في سياسة الملك ربما لم تُذكر صراحة في المصادر الأخرى المكتوبة، وتتضح أهمية كتاب روهرشت في إثباته لوثائق موجودة في مجموعات أخرى كاملة بيد أنه يصعب الحصول عليها مجتمعة أو كاملة في وقت واحد ومكان واحد، وبالرغم من تقديمه للوثيقة مختصرة فإنه أوضح الأماكن الأخرى التي توجد بها الوثيقة.

ويُمثّل تاريخ وليم الصوري واحداً من أهم المصادر اللاتينية التي اعتمد عليها

Rohricht, Regesta, no.293, 324, 359 ; Ernoul, Le Chronique d'Ernoul et de Bernard le Tresorier, (ed.) Mas Latrie, (Paris, 1871), p.14.

([1]) Rohricht, Regesta, no.407.

([2]) Rohricht, Regesta, no.380.

([3]) Rohricht, Regesta, no.449.

([4]) Rohricht, Regesta, no.452.

([5]) Rohricht, Regesta, no.412, 449.

([6]) Rohricht, Regesta, no.449, 452, 453, 465.

الباحث في دراسة سياسة الملك عموري. وُلد وليم في بيت المقدس في حدود عام ١١٣٠م/٥٢٤هـ تقريباً، ويرجح أنه ينتمي إلى عائلة فرنسية شاركت في الحملة الصليبية الأولى وعليه فقد عاش وليم فترة شبابه في ربوع الشرق داخل المملكة الصليبية[١]، ثم أمضى وليم عشرين عاماً طالباً في فرنسا وإيطاليا (١١٤٥-١١٦٥) حيث درس في باريس وشارتر وأماكن أخرى على أيدي أفضل أساتذة الفنون الحرة والفلسفة واللاهوت والقانون الكنسي والمدني[٢].

ثم حصل وليم على أول ترقية له فور عودته إلى المملكة عام ١١٦٥م/٥٦٠هـ؛ إذ أصبح قسيساً في كاتدرائية صور ثم ترقى في البلاط الملكي حتى صار كبير قضاة المملكة ورئيس أساقفة صور عام ١١٧٤-١١٧٥م/٥٦٩-٥٧٠هـ، كما استخدمه الملك عموري مستشاراً له، وعهد إليه بتربية ابنه بلدوين، كما ذهب وليم في بعثات دبلوماسية إلى روما وبيزنطة في حياة الملك عموري، ولكنه فقد حظوته في البلاط عقب وفاة عموري عام ١١٧٤م/٥٦٩هـ فانسحب إلى صور عام١١٨٠م/٥٧٦هـ، وحينما سنحت الفرصة بأن أصبح لأصدقائه الكلمة العليا في المملكة فإنه تُوفي في

---

(١) كاد وليم يصل إلى منصب بطريرك بيت المقدس عندما اقترح رجال الدين اللاتين في كنيسة القيامة ترشيحه إلى جانب هرقل (رئيس أساقفة قيسارية آنذاك) ليتم اختيار أحدهما لشغل المنصب، ووقع الاختيار على هرقل الذي عُيّنَ في المنصب في أكتوبر عام ١١٨٠م/٥٧٦هـ، وقد أشار بعض المؤرخين إلى عدم تقبل وليم ذلك وأنه توجه إلى روما لكي يقدم شكواه بشأن عدم تعيينه هو بدلاً من هرقل. انظر في ذلك:

Edbury,W., "William of Tyre, A Historian of the Crusades and the Kingdom of Jerusalem (1130-1184)", in Bulletin of the Faculty of Arts in Alexandria University, (1988), pp.43-52.

(٢) انظر في ذلك:

Edbury, P.W, J. G. Rowe, "William of Tyre and The Patriarchal Election of 1180", in EHR., vol., 93, (1978), pp.1-25; Davis, R.H.C., "William of Tyre, in relations between East and West in The Middle Ages", (ed.) D. Barker, (Edinburgh, 1973), pp.64-76; Vessey, D.W.T, "William of Tyre and Art of Historiography", in Medieval Studies, XXXV, (1973), pp.433-455.

غضون عام ١١٨٦م/٥٨٢هـ[١].

وقد ألف وليم أكثر من كتاب من ذلك كتاب "تاريخ أعمال أمراء الشرق" وضعه بناءً على تكليف من الملك عموري، وللأسف فقدت نسخة هذا الكتاب ولم يعرف عنها شيء، وله كتاب آخر عن مجمع اللاتيران الذي حضره في روما عام ١١٧٨م/٥٧٣هـ وهو مفقود أيضاً، ويرجح حسن حبشي أن يكون له كتاب آخر عن حياة الملك عموري وأعماله الذي كان الهدف الأساس من تكليف عموري له بكتابة تاريخه ولكنه مفقود أيضاً[٢].

ويُعدُّ مؤلف وليم الصوري" تاريخ الأعمال التي تمت في بلاد ما وراء البحار منذ وقت خلفاء محمد - صلى الله عليه وسلم - وحتى عام ١١٨٤م/٥٨٠هـ من أهم المؤلفات الصليبية التي اعتمد عليها الباحث، وقد وضعه وليم بتكليف من الملك عموري الأول ليكون سجلاً لأعماله وهو كتاب تاريخ أدبي كتبه وليم بلغة المثقفين بحيث حقق أقصى ما يمكن لهذا النمط من الكتابة أن يحققه خصوصاً أنه جمع مادته العلمية بعناية واستقى معلوماته من مصادر متعددة[٣].

ويُعالج وليم الصوري في تاريخه الفتح الإسلامي لبلاد الشام كمقدمة للحروب الصليبية، ثم غطى فترة الحملة الصليبية الأولى حتى عهد بلدوين الثاني معتمداً في ذلك على ما جاء في كتب من سبقوه من المؤرخين اللاتين مثل المؤرخ المجهول، وريموند داجيل، وفولشر أوف شارتر، وألبرت دي أكس، ووالتر المستشار، إلى جانب ما أمده به الملك عموري من كتب المؤرخين المسلمين؛ إذ يُشير وليم إلى اعتماده على وثائق عربية لكنه لم يسمها، وربما كانت تلك الوثائق موجودة في أرشيف المملكة، حيث سبق واستولى بلدوين الثالث على مكتبة الأمير أسامة بن

---

(١) بيرل سمايلي: المؤرخون في العصور الوسطى، ترجمة قاسم عبده قاسم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٤م ص١٤٣.

(٢) وليم الصوري: الحروب الصليبية، ترجمة حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩١م، جـ١، ص٢٩-٣١، ٥٣.

(٣) بيرل سمايلي: المؤرخون في العصور الوسطى، ص١٤٢.

منقذ[1] وحملها إلى المملكة، لذلك لم يكن وليم الصوري يجهل أحداث الفترة المبكرة على تاريخ الحروب الصليبية وحتى عهده هو[2].

وقد تدرجت فكرة كتاب وليم من خلال حواره مع الملك عموري، ذلك أن الأخير كان شغوفاً بالاستماع إلى قصص التاريخ وأعمال البطولة مما دفعه إلى تكليف وليم بكتابة تاريخ يشمل أعمال الملك عموري نفسه، وحينما رأى وليم أن تاريخ عموري يصح لأن يكون بؤرة لإطار أكثر شمولاً فإنه قرر إدراج أعمال عموري ضمن التاريخ العام للمملكة، مما تطلب بحثاً أوسع شمولاً، فبدأ وليم بأحداث الفتح الإسلامي لبلاد الشام وانتزاعها من يد البيزنطيين (٦٣٤-٦٤٠م) ثم استمر في كتاباته متتبعاً الأحداث التاريخية، وقد سمحت له الفترة التي قضاها في صور بعد خروجه من البلاط بالوقت الكافي للكتابة، فكتب اثنتين وعشرين كراسة ثم توقف اشمئزازاً للحال المتردي للصليبيين، بيد أن أصدقاءه أقنعوه باستكمال ما بدأه من تاريخه فشرع في كتابة الكراسة الثالثة والعشرين لكنه توفي قبل استكمالها[3].

---

(1) هو الأمير أسامة بن على بن مُقلد بن منقذ الشيزري (٤٨٢-٥٨٤هـ) من أسرة بني منقذ التي أقامت لنفسها ملكاً في مدينة شيزر على نهر العاصي، وقد ارتحل أسامة إلى البلاط الفاطمي وتقرب من الوزير عباس وابنه نصر، ثم كان على اتصال مباشر ببني رزيك - فيما بعد - عن طريق المراسلات الشعرية التي حفلت بها دواوين أشعار ذلك العصر وكذا كتب أسامة الأدبية الأخرى، كما كان لأسامة علاقة مباشرة بنورالدين ثم بصلاح الدين فيما بعد، علاوة على علاقاته الأخرى ببعض ملوك الفرنج وفرسانهم، إذ خالط بعضهم وصادقهم مما أتاح له حرية التجوال في بلادهم.لمزيد من التفاصيل عن أسامة انظر: أسامة بن منقذ: الاعتبار، تحقيق: فليب حتى، برنستون، ١٩٣٠م، مقدمة فيليب للكتاب. وكذلك: حجازي عبد المنعم عبد الحفيظ: إمارة شيزر في عصر بني منقذ، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة المنوفية، ٢٠٠٢م، ص ١٢-١٣، ٢٩٧-٢٩٨.

(2) وليم الصوري: الحروب الصليبية،جـ١، ص٤٦-٤٧؛ وأيضاً: حسين عطية: إمارة أنطاكية، ص٣٤-٣٥.

(3) تمتاز كتابات وليم الصوري بالبساطة والوضوح وإن لم تخل من التعصب، وتبدو الثقافة الواسعة من ثنايا مؤلفه التي برزت في تعريفه بالأماكن والشخصيات والأحداث التي يعالجها، ومما تميز به وليم - كمتخصص في الدراسات الكلاسيكية - قدرته على السيطرة والتحكم في مصادره القديمة؛ إذ يشير في البداية إلى قصة تأسيس المملكة في بيئة إسلامية، وإلى قصة الحملة الصليبية الأولى، وتلا ذلك رسم صورة لشخصية كل ملك يتبعها بتقرير زمني عن عهده، مع ربطه لتلك الخيوط بعضها

والواقع أنه يصعب دراسة تاريخ الملك عموري من زوايا عديدة دون الاعتماد على تاريخ وليم الصوري، وقد أفاد وليم الباحث في مواضيع كثيرة يُذكَر منها حديث وليم عن حملة الملك عموري على مصر عام ١١٦٣م/٥٥٨هـ وتعليله اضطرار الملك إلى الانسحاب بسبب مياه الفيضان التي أعاقت إتمام سيطرته على مصر، كما ذكر المفاوضات الأولى للملك عموري مع ضرغام (ت:١١٦٣م/٥٥٨هـ) وعقد الأخير لمعاهدة معه قبل انسحاب عموري من مصر، وأشار إلى بقاء شاور

ببعض حتى تبدو شخصية الحاكم انعكاساً للأحداث الجارية، ويقدم وليم في تاريخه شخصيات وأماكن أخرى وتقارير جغرافية عن كل مكان يذكره، كما تتبع تاريخ هذه الأماكن في الأزمنة القديمة وصورة للأرض والفرنجة الذين قهروها، وبذل جهداً ملموساً في جمع معلومات عن الأحداث التي لم يشهدها، وبالرغم من توقفه عن الكتابة في الكراسة الثالثة والعشرين، بسبب عدم رغبته الخوض في أعراض مرض بلاده وما أصابها من شلل فإنه واصل كتابه حينما أقنعه أصحابه بأن التاريخ لا يحوي من الانتصارات قدر ما يحوي من المصائب والنكبات، فحاول العودة لمواصلة الكتابة.

ومن ناحية أخرى عاب وليم كرهه للمشاركة في الحملات بنفسه، بسبب عدم موافقته على مشاركة الأساقفة في أمور الحرب والقتال، وعليه فإن كتابات وليم تتسم بالضعف في تناوله للتاريخ العسكري، كما اعتاد وليم الحط من قدر الملوك والأمراء الذين يقللون من امتيازات الكنيسة، وكان طبيعياً أن يهاجم الحريات التي حصل عليها رجال الدين وبخاصة فرسان المعبد؛ لأن الاستثناءات التي حصلوا عليها خلقت بعض الصعوبات الإدارية.

وقد نجح وليم إلى حد ما في معالجة مشكلة السببية، ذلك أنه تساءل في غضون عام ١١٤٧م/٥٤٢هـ عن الأسباب التي أدت إلى ضعف المملكة وكثرة تهديدات المسلمين لها، حقاً إنه أشار إلى التدهور الأخلاقي لدى الصليبيين بيد أنه لم يقتنع بهذا الرد الجاهز، ولذا فإنه عاد يتساءل ويبحث حتى وصل إلى حقيقة أن نجاح الجيل الأول من الصليبيين كان سهلاً بسبب ما تعرض له المسلمون من فرقة وتخاذل، وعليه فلم يُواجه هذا الجيل من الصليبيين من الصعوبات ما واجهه الجيل الذي عاصره وليم الصوري، حيث انعكست الآية؛ إذ اتحدت راية الإسلام تحت قائد واحد صار بجمع الجيوش والموارد المالية والحصون والقلاع تحت يديه، بينما افتقد الصليبيون روح التحالف والتماسك التي كانت سبباً جوهرياً في صمودهم فترة طويلة أمام المسلمين، ولذا فقد واجه جيل وليم الصوري من المتاعب أكثر مما واجه أسلافه. ويلاحظ من مطالعة تاريخ وليم الصوري إشاراته المتكررة إلى بحثه عن الحقيقة من خلال جمع الآراء ومعرفة سبب التضارب بينها أو اتفاقها، وتأكيده على مكاتبته من عاصر الأحداث التي لم يدركها في الحصول على الأخبار الصحيحة والتواريخ الدقيقة، علاوة على نقده للروايات الشفهية التي تصله، وكذا الروايات التي عاصرها بنفسه أو حصل عليها عن الآخرين. انظر: وليم الصوري: الحروب الصليبية، جـ٣، ص٢٢٩-٢٣٠، ٣١٨.

(ت:١١٦٩م/٥٦٤هـ) في مصر مراقباً لتلك الأحداث ولكنه اتجه بعدئذ إلى طلب مساعدة نورالدين[١].

وأشار وليم أيضاً إلى تدخل عموري للمرة الثانية في مصر بناء على طلب شاور لطرد شيركوه منها وذلك في عام ١١٦٤م/٥٥٩هـ، وقدم تفاصيل مهمة عن التحركات العسكرية التي صحبت حصار عموري وشاور لشيركوه في بلبيس والعوامل التي أدت إلى عقد الصلح وانسحاب الطرفين، ومن أهمها ما قام به نورالدين في بلاد الشام من استيلائه على حارم وبانياس[٢]، وقد أكدت الوثائق ما ذكره وليم الصوري عن ما حدث في حارم وبانياس بما يشيد بالثقة فيما دونه وليم[٣]، ومما عالجه وليم أيضاً أحداث حملة عموري الثالثة على مصر عام ١١٦٧م/٥٦٢هـ، وهي رواية مهمة في كمها وتحليله لها، مما يجعلها من أكثر ما كُتِبَ عن الحملة عموماً وعن معركة البابين وأحداث حصار الإسكندرية خصوصاً، وكذا المعاهدة التي عقدها

---

(١) وليم الصوري: الحروب الصليبية، جـ٤، ص٢٥-٣٣.

(٢) بانياس مدينة عبرانية يونانية رومية، بها أنهار وبساتين كثيرة تعد من أفضل بساتين الساحل وأعجبها، وذلك بسبب اتصال حيطان البساتين بغرب موج البحر بغير حائل، ويشرب أهلها الماء الحلو، وإذا نظر الناظر إلى البساتين وإلى البحر وجد بساطا أزرق والبساتين عبارة عن حاشية خضراء.وتقع مدينة بانياس على طرف الحولة وحد الجبل، وهي أرض من دمشق، انتقل إليها أكثر أهل الثغور حينما فقدت طرسوس، وزادوا فيها وحصنوها. انظر في ذلك: المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، القاهرة، ص١٦٠.

(٣) راجع ما كتبه وليم الصوري مقارناً بما ورد في الوثائق الرسمية. وليم الصوري: الحروب الصليبية، جـ٤، ٢٩-٣٥. وكذلك:

Amalrici, Regis Hierosolymorum, ad Ludovicum, in RHGF, t. XVI, pp.37-38; Amalrici, Regis Hierosolymorum, ad Ludovicum, in RHGF, t. XVI, p. 40; Amalrici, Regis Hierusalem, ad Ludovicum, in RHGF, t. XVI, pp.59-60; Bertrandi De Blankafort, magistri militiæ Templi, ad Ludovicum, in RHGF, t. XVI, pp.38-39; Gaufredi Fulcherii, procuratoris militiæ Templi, ad Ludovicum, in RHGF, t. XVI, pp.62-63; Aymerici, patriarchæ Antiocheni, ad Ludovicum, in RHGF, t.XVI, pp.61-62.

عموري مع الخليفة الفاطمي العاضد[١].

وفي الوقت ذاته انساق وليم خلف تفاصيل الأحداث الجمة التي قام بها عموري في مطاردته لشيركوه في الصعيد التي سبقت معركة البابين، بيد أنه بالغ في تقديره لجيش شيركوه على حين قلل من جيش عموري، ومن جهة أخرى لم يقرر وليم نتيجة المعركة لأحد، وإنما ترك نتيجتها مفتوحة، وكأنها لم تكن حاسمة لأحد الطرفين[٢]، وحينما توجه شيركوه إلى الإسكندرية عقب معركة البابين ثم انسحب عنها بسبب الضرورات الحربية فقد اعتبر وليم ذلك التصرف هروباً، ثم قدم وليم رواية وافية عن أحداث حصار الإسكندرية وتفاصيل دقيقة للغاية تُعد بعض انفرادات وليم الصوري، لأنه أول من أشار إلى قيام عموري بحصار الإسكندرية مرتين، واحدة من مسافة بعيدة وأخرى حينما انسحب شيركوه عنها تاركاً بها صلاح الدين فعاد عموري إليها وضيق عليها الحصار مرة أخرى، بيد أنه تغافل عن تقديم السبب الحقيقي الذي أدى إلى اتفاق عموري وشيركوه على الانسحاب من مصر، ولكنه أشار إلى عقد عموري لاتفاقين، أحدهما مع شيركوه والآخر مع شاور ذاته والذي أعطى عموري صفة أقوى مما كان له في مصر ونفوذ كاد يضعها به تحت حمايته[٣].

ومن جهة أخرى يُقّدم وليم انفرادات كثيرة في معالجته لبوادر علاقة المملكة بالإمبراطورية البيزنطية، بحيث يجعل من عموري أول من سعى إلى التحالف مع بيزنطة، ولكنه لم يقرر صفة ذلك التحالف، سواء للدفاع عن شمال بلاد الشام أم لغزو مصر، ثم عاد ليقر بأن عموري هو أول من طلب التحالف مع مانويل - عقب زواجه من مارية - بهدف غزو مصر[٤]، ورواية وليم هنا مهمة بصفته أحد الدبلوماسيين الذين تولوا مهمة توقيع المعاهدة مع مانويل في أكتوبر ١١٦٨م/ذي القعدة٥٦٤هـ وكان أحد المناصرين للتحالف مع بيزنطة، وقدّم صورة طيبة عن مانويل تخالف ما سبق بها أودو دو ييي Odo of Deuil في حديثه عن مانويل وعلاقته بما تعرضت له

---

(١) وليم الصوري: الحروب الصليبية، جـ٤، ص٣٩-٦٦، ٧٦..

(٢) وليم الصوري: الحروب الصليبية، جـ٤، ص٦٠-٦٢.

(٣) وليم الصوري: الحروب الصليبية، جـ٤، ص٧٠-٧٦.

(٤) وليم الصوري: الحروب الصليبية، جـ٤، ص٩٦-١٠٠.

الحملة الصليبية الثانية[1].

وكان وليم من أشد الناقمين على سياسة عموري خلال حملته على مصر عام ١١٦٨م/٥٦٤هـ التي لم ينتظر معها عودة وليم بالمعاهدة التي عقدها مع بيزنطة بشأن غزو مشترك لمصر، ولم يكن رفض وليم لسياسة الملك في هذه الحملة ناجم عن سبب أخلاقي - على ما حاول وليم نفسه أن يبرر ذلك أي بسبب المعاهدة المعقودة بين المملكة ومصر في العام السابق - وإنما لأن عموري قام بالحملة دون الاستفادة من جهود وليم الصوري في بيزنطة للحصول على مشاركتها في تلك الحملة، وقد قدم وليم أحداث هذه الحملة في شكل نقد لاذع للملك عموري، ربما بسبب سياسته وتصرفاته خلال الحملة، بيد أنه لم يجعل نقده مباشراً وإنما وزع الاتهامات على من يحيطون بالملك ومن يُؤثّرون عليه في اتخاذ قرارات ثبت خطئها فيما بعد؛ محاولاً بذلك تجنب الاصطدام بحقيقة أن الملك كان المسئول عن فشل حملة عام ١١٦٨م/٥٦٤هـ التي أدت في نهاية المطاف إلى ضياع مصر تماماً من يد الملك عموري، وعرضت المملكة للخطر من جهة الجنوب والشرق والغرب، وأفقدتها مزايا ومكاسب اقتصادية كثيرة كانت تعود عليها من التجارة المتبادلة بين المملكة ومصر، مما يؤكد أن مهاجمة وليم للملك عن قيامه بالحملة لم يكن على أساس أخلاقي وإنما بسبب سياسة المصالح لا أكثر[2].

وتُعَدُّ رؤية وليم عن الحملة الصليبية البيزنطية على دمياط عام ١١٦٩م/٥٦٥هـ من أفضل ما كتبه عن الحروب والمعارك التي خاضها عموري، هذا على الرغم من أن وليم لم يكن متواجداً في المملكة في ذلك العام بيد أنه استقى مادته عن الملك عموري وعن القادة الذين شاركوه في الحملة، فلم يوجه وليم نقداً للملك عموري بقدر ما وجه له خلال هذه الحملة بحيث كان موافقاً فيما كتبه - عن تخاذل عموري وسلبيته على مدار الحملة - مع ما ذكره المؤرخ البيزنطي خونياتس، إذ حمّل كل من وليم

---

(١) قارن ما ورد لدى أودو دو ديي:

Odo of Deuil, De Profectione Ludovici VII in Orientem, (ed.)& English trans. by V.G. Berry, (New York, 1948), pp.18, 65, 84-85.

(٢) وليم الصوري: الحروب الصليبية، جـ٤، ص٩٦-١١٧.

وخونياتس الملك عموري مسئولية فشل الحملة، وإن لم يكن وليم صريحاً في ذلك وإنما لجأ إلى أسلوب الإسقاط في توجيه مسار الأحداث تجاه الملك عموري[١].

كما استفاد الباحث أيضاً مما قدمه وليم الصوري عن الفترة الأخيرة من سياسة الملك عموري (١١٧٠-١١٧٤م/٥٦٦-٥٦٩هـ) حينما تعرض لأحداث مهاجمة كل من نورالدين وصلاح الدين للمملكة سواء من الشمال أم من الجنوب، وكان وليم صريحاً في وصفه لسياسة عموري بالسلبية واتخاذه الجانب الدفاعي لأنه لم يجرؤ على مواجهة أي من هذين القائدين في أرض المعركة في الداروم[٢] وغزة[٣] أو خلال استيلاء صلاح الدين على قلعة أيلة[٤] عام ١١٧٠م/٥٦٦هـ، وكذا خلال حملتيه على حصني الشوبك والكرك عامي ١١٧١م/٥٦٧هـ، ١١٧٣م/٥٦٨هـ[٥].

وأفرد وليم مساحة كبيرة من تاريخه لسرد تفاصيل زيارة عموري للعاصمة البيزنطية في محاولة جادة من عموري هذه المرة لالتماس المساعدة ضد نورالدين

---

(١) قارن ما أورده وليم بما أورده خونياتس :وليم الصوري: الحروب الصليبية، جـ٤، ص٩٦-١٠٠.
Choniates, N., O City of Byzantium: Annales of Niketas Choniates, trans. by Harry I. Magoulias, (Detroit,1984), pp.92-98.

(٢) الداروم قلعة بعد غزة للمتوجه إلى مصر من بلاد الشام على ساحل البحر المتوسط "الواقف فيها يرى البحر إلا أن بينها وبين البحر مقدار فرسخ".عن قلعة الداروم انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، جـ٢، ص٤٢٤. انظر أيضاً وصف وليم الصوري لها: وليم الصوري: الحروب الصليبية، جـ٤، ص١٣٣.

(٣) غزة بفتح أوله وتشديد ثانيه وفتحه "في الإقليم الثالث طولها من جهة المغرب أربع وخمسون درجة وخمسون دقيقة وعرضها اثنتان وثلاثون درجة.... مدينة في أقصى الشام من ناحية مصر بينها وبين عسقلان فرسخان أو أقل وهي من نواحي فلسطين غربي عسقلان".انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، جـ٤، ص٢٠٢. وعن وصف وليم الصوري لقلعة غزة انظر: وليم الصوري: الحروب الصليبية، جـ٤، ص١٣٤.وانظر أيضاً: جاك دي فيتري: تاريخ بيت المقدس، ترجمة: سعيد البيشاوي، دار الشروق، ١٩٩٠م، ص٤٥.

(٤) أيلة بالفتح مدينة على ساحل البحر الأحمر مما يلي الشام، وقيل هي آخر بلاد الحجاز وأول الشام، وهي مدينة صغيرةعامرة بها القليل من الزرع. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، جـ١، ص٢٩٢.

(٥) وليم الصوري: الحروب الصليبية، جـ٤، ص١٣٠-١٣٧، ١٥١-١٥٤.

وصلاح الدين، ولم يُشِر وليم إلى ما أشار إليه كيناموس عن اعتراف عموري بالتبعية لمانويل، بل أكد استقبال مانويل للملك عموري بوصفه نداً له وملكاً عظيماً لا ينبغي لمثله أن يُستقبل بأقل مما استقبله به مانويل[١]، وانفرد وليم بالحديث عن مفاوضات عموري مع الحشاشين في بلاد الشام وأسهب في معالجة محاربة عموري لمليح الأرمني، وعلل عدم إكمال الملك لحملته ضده بسبب مهاجمة نورالدين لحصن الكرك، ضغطاً منه على عموري حتى يتراجع عن التضييق على مليح حليف نورالدين[٢]، ومن جهة أخرى أغفل وليم أي علاقة للملك عموري بمؤامرة عمارة اليمني في القاهرة أو باتفاقه مع وليم الثاني ملك صقلية بشأن غزو مشترك لمصر.

ومما أغفله وليم عمداً تجاهله الإشارة إلى تعيين البطريرك الأرثوذكسي في أنطاكية عام١١٦٥م/٥٦٠هـ، هذا على الرغم من إشارته إلى أحداث وثيقة الصلة بهذه القضية[٣]، أو إلى الأسباب الحقيقية لاعتراض بارونات المملكة على تتويج عموري، ولكن على الرغم من غموض وليم وتكتمه الشديد في إيراد بعض الأحداث بحيث يبدو من حديثه بأنه يعرف أكثر مما يكتب وأنه كان لذلك دواعي سياسية بسبب كونه مستشاراً للمملكة ولا ينبغي لمثله أن يفصح عن السياسة الملكية على الملأ، خصوصاً أنه كان أسير فضل الملك عموري فإن وليم حمّلَ الملك عموري سبب الإرهاص الأول الذي أدى إلى سقوط المملكة، وبخاصة تَسبَّبّ عموري في خروج مصر عن عزلتها الحيادية بشكل نهائي عقب فشله في الاستيلاء عليها.

ومما اعتمد عليه الباحث تاريخ إرنول Ernoul وهو من المصادر المكتوبة بالفرنسية القديمة[٤]، ويلاحظ اتفاق إحدى نسخ تاريخ هرقل مع تاريخ إرنول ولكن توجد نسخ أخرى للأخير تنتهي عند عام ١٢٤٨م وواحدة ثانية عام ١٢٦٦م وثالثة عام

---

(١) وليم الصوري: الحروب الصليبية، جـ٤، ص١٤٢-١٤٣.

(٢) وليم الصوري: الحروب الصليبية، جـ٤، ص١٥١-١٥٢.

(٣) وليم الصوري: الحروب الصليبية، جـ٤، ص٣٦.

(4) Ernoul, Le Chronique d'Ernoul et de Bernard le Tresorier, (ed.) Mas Latrie, (Paris, 187).

١٢٧٥م وأخيرة حتى عام ١٢٧٧م[١]. ويواكب تاريخ إرنول ذيل وليم الصوري للمؤلف المجهول، أراد به الأخير إكمال كتاب وليم الصوري[٢]، ويمكن إعداد تاريخ إرنول تالياً لتاريخ وليم الصوري أيضاً، ذلك أنه بدأ في تدوينه للأحداث من حيث انتهى وليم الصوري في عام ١١٨٤م وحتى عام ١١٩٨م.

ومما أفاده الباحث من تاريخ إرنول ما أشار إليه بوضوح عن طبيعة علاقة المملكة بالإمارات الصليبية، بأن الإمارات لم تكن تابعة للمملكة يوماً ما[٣]، وفيما يخص عموري فقد انفرد إرنول بالإشارة إلى اعتراض البارونات على اعتلاء

---

(١) محمود سعيد عمران: منهج البحث التاريخي ومصادر العصور الوسطى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٦، ص٢٢١-٢٢٤.

ومما هو معروف حالياً من مؤلف إرنول أو برنارد متولي الخزانة، والمخطوطتان المرموز لهما بحرفي .G.C من تاريخ هرقل Eracles تعد أقرب النسخ لتاريخ إرنول الأصلي، أما المخطوطتان .A.B اللتان تشابه إحداهما الأخرى، والمخطوطة.D التي لا تختلف إلا قليلاً عنهما فليست جميعها إلا نسخاً أخرى لتاريخ إرنول.أما الفترة الممتدة من عام ١١٩٨إلى عام ١٢٠٥ فإن جميع المخطوطات التي تعالجها متطابقة، ويتفق إرنول مع المخطوطات .D.G.C من تاريخ هرقل حتى عام ١١٢٩ التي ينتهي عندها إرنول، ثم تطابق مخطوطات .D.G.C من تاريخ هرقل مخطوطتي هذا التاريخ ا،ب، مع اختلافات يسيرة، ولم يعد لتاريخ هرقل ابتداء من عام ١٢٠٥إلا صلة ضئيلة بتاريخ إرنول، وتنتهي المخطوطة أ عند عام =١٢٤٨ بينما تستمر المخطوطات .D.C.B حتى أعوام ١٢٦٦، ١٢٧٥، ١٢٧٧م. وفي تلك الأثناء يعالج المرحلة من عام ١٢٢٩حتى عام١٢٦١ تذييل آخر وهو المعروف باسم مخطوطة روثلين Rothelin. انظر:

Cahen, La Syrie du Nord á L'époque des Croisades et La Principauté Franque d'Antioche, Institut Français de Damas, Bibliothèque Orientale, I, (Paris, 1940), pp.21-25.

(٢) اصطلح المؤرخون على تسمية ذيل وليم الصوري باسم الحملة الصليبية الثالثة ويحتوي ذيل وليم الصوري على أحداث الفترة من ١١٨٤م-١١٩٧م، ويتضمن مائة وثمانية وثمانين موضوعاً، بدأ بالحديث عن عصر بلدوين الرابع ١١٧٤م، وانتهى بموت الإمبراطور الألماني هنري السادس ورحيل قوات الحملة الصليبية الألمانية من بلاد الشام عام ١١٩٧م، وقد جاء تاريخ إرنول مواكبا أو تالياً لتاريخ وليم الصوري أيضاً.انظر:

محمود سعيد عمران: منهج البحث التاريخي، ص٢٢١-٢٢٢.

(3) Ernoul, Chronique, pp.27.

عموري للعرش حتى يُطلق زوجته آنياس دو كورتناي[١] ، موضحاً سبب اعتراضهم بأن آنياس لم تكن وليدة مدينة شريفة مثل مدينة بيت المقدس[٢]، ومن جهة أخرى أشار إرنول إلى نقطة غاية في الأهمية وتتعلق بالدور السياسي للملك عموري قبيل اعتلائه للعرش، خصوصاً في يافا وعسقلان، لأنه أشار إلى حصول عموري على المدينتين معاً في وقت ما من عام ١١٥٤م/٥٤٩هـ وليس كما هو شائع عام ١١٥٣م/٥٤٨هـ، العام الذي استولى فيه بلدوين الثالث على عسقلان[٣].

وأوجز إرنول في حديثه عن حملات عموري على مصر بحيث أضر إيجازه بالمعنى العام للمعلومات الخاصة بالحملات، بل شاب عرضه لها غموض وخلط يصعب معه تحديد خط عام لكل حملة دون الاعتماد على مصادر أخرى أكثر إيضاحاً، ومما أشار إليه إرنول حصار عموري لمدينة بلبيس ودمياط ومحاربته للمسلمين في مصر، وتصديه لمحاولات نورالدين للاستيلاء عليها ولكن دون الإشارة إلى سنوات بعينها أو أشخاص محددين، كما ألمح إرنول إلى جانب مهم من طبيعة علاقة المملكة بالغرب، حيث أشار إلى استمرار وصول إمدادات الغرب إلى المملكة - بتصريحه بكثرة عدد المرات التي قدم فيها كونت تيبري أوف فلاندرز إلى المملكة - وإلى طبيعة العلاقة التي تربطه بالملك عموري؛ لأن كونت تيبري كان زوجاً لأخت عموري من أبيه فولك[٤].

وانفرد إرنول بإيراده لحادثة فريدة لم يُسمع بها لدى غيره وهي زيارة توروس الثاني Thoros II للمملكة في عصر عموري، ولا يكفي صمت المصادر والحوليات اللاتينية والأرمنية عن زيارة توروس للمملكة لإثبات عدم حدوثها، بل إن ما قدمه إرنول من تفاصيل وردت في عرض توروس الثاني على الملك عموري باستقدام الأرمن للإقامة في المملكة يدلل على أن إرنول كان يشير إلى حقيقة محددة، ويُرجح أنه قام بزيارته فيما بين ١١٦٤إلى ١١٦٦م وربما عام ١١٦٧م، ويرتبط هذا التحديد

---

(١) وآنياس دو كورتناي هو التصحيح للاسم الشائع آجنس دو كورتناي.

(2) Ernoul, Chronique, pp.16.

(3) Ernoul, Chronique, pp.14.

(4) Ernoul, Chronique, pp.19-25.

بما أورده إرنول من تفاصيل ترجح حدوث زيارته في إحدى تلك السنوات؛ ذلك أن توروس اندهش من قلة الحصون والقلاع التي يملكها عموري، حيث لم يكن بيده سوى ثلاث قلاع فقط، بينما أوكل أمر القلاع الملكية الأخرى إلى فرق الفرسان الرهبان، حتى يتمكن الملك من توفير القوة الضاربة اللازمة لقيادة حملاته على مصر، وقد حدث ذلك في خلال عامي ١١٦٦، ١١٦٧م وعليه رجح الباحث قيام توروس بزيارته للمملكة آنذاك[١].

وقد حملت رواية إرنول رثاء خفياً لأحوال المملكة الداخلية والخارجية بسبب ما تعانيه من ضعف اقتصادي وعسكري بحيث أشفق توروس على حالها مما دفعه إلى عرضه تقديم ثلاثين ألفاً من الأرمن من أجل إعمار المملكة والدفاع عنها، وقد أشار إرنول إلى عدم قبول عرض توروس بسبب تصدي رجال الدين في المملكة له[٢]. وتتسم رواية إرنول عموماً بالإيجاز، بخلاف روايته عن توروس وكونت تييري، وهو يميل إلى الاستطراد في موضوع معين يخرج منه إلى آخر ليعود إليه بعد قليل مع تنبيهه للقارئ على ذلك، وبالرغم من ذلك فإن روايته لا غنى عنها في دراسة عصر عموري وسياسته الخارجية.

واستفاد الباحث من بعض المصادر البيزنطية القيّمة ويقف كتاب يوحنا كيناموس *John Kinnamos* في مقدمة تلك المصادر التي تُؤرّخ للأحداث من عام ١١١٩إلى عام ١١٧٦م. وُلد كيناموس بعد عام ١١٤٣م بفترة قصيرة من أبوين ذوي مركز اجتماعي مرموق، وقد تربى على المؤلفات الكلاسيكية للكتاب اليونانيين ونهل من كتابات مؤلفي بيزنطة الأُوَل، وعلى الرغم من ذلك فإنه لا يمكن مقارنة مستوى كيناموس التعليمي بمستوى أنّاَ كومنينا أو حتى نكيتاس خونياتس في حجم استقائهما من الكتاب الكلاسيكيين القدامى[٣]. والتحق كيناموس في صغره بسكرتارية البلاط الإمبراطوري وصاحب الإمبراطور مانويل كومنينوس في صباه في حملات كثيرة

([1]) Ernoul, Chronique, pp.27-29.

([2]) Ernoul, Chronique, pp.27-29.

([٣]) طارق منصور: دراسة نقدية تحليلية لمصادر تاريخ الدولة البيزنطية في عصرها الأخير، القاهرة، ٢٠٠٤- ٢٠٠٥م، ص١٦؛ محمود عمران: منهج البحث التاريخي، ص٢٩٣-٢٩٦.

خارج حدود أوربا والإمبراطورية وفي آسيا الصغرى، ويبدو أنه نال حظوة لدى الإمبراطور وتمتع بثقته بما يفهم من مناقشاته له[1].

([1]) تأثرت كتابات كيناموس عن مانويل بالعلاقة التي تربطه به وبالمكانة التي احتلها في البلاط البيزنطي؛ ذلك أن كيناموس كان نموذجاً لمؤرخي البلاط المتأثرين بالسلطة ممن يشوب كتاباتهم إعجاب مقرون بالرياء والنفاق، ومن جهة أخرى فإنه كان ممثلاً للطبقة العليا في بيزنطة وكان ديدنه كسب ولاء مولاه. وقد بدأ كيناموس في كتابة مؤلفه عقب وفاة مانويل بعامين وخلال فترة اعتلاء ابنه ألكسيوس الثاني (١١٨٠-١١٨٣م) Alexios II للعرش البيزنطي، وهنا يمكن الوقوف أيضاً على سبب كتابته له بما جُبِل عليه من كرهه للاتين بحيث يقطر مؤلفه بهجائه الشديد للكثيرين من زعماء اللاتين حسب علاقاتهم بمانويل، وقد أدى ذلك الكره إلى عزله من الخدمة الإمبراطورية في عصر ألكسيوس الثاني الذي كانت أمه مارية الأنطاكية ذات أصل لاتيني، وهنا وجد كيناموس فرصة لقضاء الفراغ في كتابته لهذا العمل، ولكن يُرجح عودته إلى الخدمة في البلاط، ليس في عصر ألكسيوس الثاني وإنما في عصر إندرونيقوس كومنينوس (١١٨٣-١١٨٥م) Andronicus Comnenus في ربيع عام ١١٨٤م/٥٨٠هـ، ولم يكتمل عمل كيناموس عن عصر مانويل والأحداث الأخرى التي عاصرها في عصري ألكسيوس الثاني وإندرونيقوس كومنينوس لتوقف عمله فجأة عام ١١٧٦م/٥٧١هـ.

وقد أدت بداية كيناموس في كتابة مؤلفه بعد عامين من وفاة مانويل إلى حضور ذهنه للأحداث التي دونها، وأفاد كيناموس من قضائه معظم سنى حياته في خدمة الإمبراطور مانويل ومرافقته له في كثير من حملاته واتصاله بالقادة والشخصيات السياسية الكبيرة في البلاط من الموظفين والإداريين والقائمين على الأرشيف، وعليه فإن روايته عن عصر عموري جاءت أكثر دقة وتركيزاً للأحداث، وإن جاءت كتاباته المتشربة بروح =الإعجاب تكاد تكون مسلوبة لملكة النقد.، وبالرغم من ذلك فإن عمل كيناموس كسكرتير خاص لمانويل جعله يحتل مكانة على درجة كبيرة من الأهمية بالنسبة لعصر ذلك الإمبراطور.راجع في ذلك:

Kinnamos, Deeds of John and Manuel Comnenus, trans. by Charles Brand, (New York, Columbia University Press, 1976), pp.14, 217. See also: Harris, Byzantium and the Crusades, (London, and New York, 2003), p. 93.

وانظر أيضاً: عبد العزيز محمد عبد العزيز رمضان: العلاقات البيزنطية اللاتينية في عهد الإمبراطور مانويل الأول كومنينوس (١١٤٣ – ١١٨٠م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب - جامعة عين شمس، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م، ص٦-٧؛ محمود سعيد عمران: السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية في عهد الإمبراطور مانويل الأول (١١٤٣ – ١١٨٠م)، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٠م، ص١٢؛ ليلى عبد الجواد إسماعيل: "حملات مانويل كومنين على بلاد المجر (١١٥١ – ١١٦٧م) في ضوء كتابات حنا كيناموس"، مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية،

وينقسم تاريخ كيناموس إلى سبعة فصول: عرض الفصل الأول لحكم الإمبراطور يوحنا كومنينوس وتناول الفصل الثاني حكم الإمبراطور مانويل كومنينوس حتى عام ١١٥٢م/٥٤٧هـ وعلاقته مع السلاجقة الأتراك، وأما الفصل الثالث فتحدث عن أحداث الإمبراطورية حتى عام ١١٥٦م/٥٥١هـ، ويشمل الفصل الرابع الأحداث حتى عام ١١٦١م/٥٥٦هـ ، ويشير الفصل الخامس إلى الأحداث حتى عام ١١٦٦م/٥٦١هـ ومنها ما يخص المسلمين والغرب الأوربي وروسيا، أما الفصل السادس فيتناول أحداث الفترة التالية لعام ١١٧٤م/٥٦٩هـ، على حين يتناول الفصل السابع الأحداث حتى منتصف عام ١١٧٦م/٥٧١هـ. ويعكس هذا الكتاب احتلال مؤلفه موقعاً مهماً في البلاط البيزنطي مما أهّله للإطلاع على وثائق رسمية أصبحت اللبنات الأولى لمصدره[١].

ويشير كيناموس في ثنايا مؤلفه إلى حرصه على تحري الدقة خلال معالجته لأحداث عصره، إذ يؤكد في أكثر من موضع حرصه الدائب على جمع المعلومات بنفسه ومراعاته الصدق فيما يكتبه، كما اعتاد أحياناً أن لا يُؤرّخ لبعض الأحداث إلا حينما يراها بعينه مقسماً على أنه يقول الحقيقة[٢]. والواقع أنه إذا كان كيناموس مسهباً فيما ذكره عن الإمبراطور مانويل كومنينوس فإنه لم يكن كذلك فيما يخص علاقات مانويل بالملك عموري، وبداية لم يُشِر كيناموس - مثله مثل خونياتس - إلى أي من حملات الملك عموري على مصر، وذلك في سياق إشارته إلى اهتمام مانويل بمهاجمة مصر بالتحالف مع عموري، ومن جهة أخرى لم يتعرض كيناموس بالتفصيل إلى بعض أوجه علاقات الملك عموري بالإمبراطور مانويل وبخاصة مسألة زواج عموري من مارية ابنة أخ الإمبراطور مانويل التي أشار إليها، والأهم من ذلك أنه لم يربط بين هذا الزواج وبين عرض عموري للتحالف مع الإمبراطورية، بل إنه جعل عرض عموري متأخراً خلال عامي ١١٦٨م، ١١٦٩م/٥٦٤،٥٦٥هـ مما جعل رواية

عدد ٣٧، ١٩٩٠م، ص٧٤.

(١) طارق منصور: دراسة نقدية تحليلية، ص١٨.

(2) Kinnamos, Deeds, pp. 146-147.

وليم الصوري مهمة في هذه القضية مقارنة بما ذكره كيناموس أو نظيره خونياتس.

بيد أن رواية كيناموس مهمة في نواحي أخرى وبخاصة ما سطره عن اتهامه للملك عموري بمحاولة تقوية نفوذه في أنطاكية؛ مما عرّضَ الباحث لدراسة علاقة عموري بإمارة أنطاكية وبخاصة وضع أنطاكية خلال مفاوضات عموري مع بيزنطة، وبالمقارنة بخونياتس ووليم الصوري فإن رواية كيناموس عن الحملة الصليبية البيزنطية على دمياط لم تكن كبيرة لأنه أشار إليها في إيجاز، وأورد ضمن هذا الإيجاز رواية ربما كانت ضعيفة وهي تدور حول مراسلة مانويل للحكومة الفاطمية يطالبها بالإذعان له وإرسال الأموال المقررة سنوياً التي جرت عادة مصر على الوفاء بها للإمبراطورية البيزنطية حينما كانت إحدى ولاياتها فيما مضى، وحينما رفضت مصر ذلك قرر مانويل القيام بحملة عليها - هي حملة دمياط عام ١١٦٩م/٥٦٥هـ- بمشاركة الملك عموري[١].

ومما أشار إليه كيناموس رحيل إندرونيقوس كومنينوس إلى المملكة وإقامته فيها ثم رحيله عنها ومعه ابنة عمه تيودورا أرملة الملك بلدوين الثالث (١١٤٣-١١٦٣م) Baldwin III[٢]، وانفرد كيناموس بالإشارة إلى قضية أخرى كانت سبباً في جدال حاد بين المؤرخين المحدثين - وذلك من خلال حديثه عن زيارة عموري للقسطنطينية - وروايته هنا لا تتعد ثلاثة أسطر، أشار خلالها إلى اعتراف الملك عموري بالتبعية للإمبراطور مانويل[٣]، وتعرض كيناموس أيضاً - ولكن في إيجاز شديد لا يتعد سطراً - إلى مشاركة عموري للإمبراطورية في محاربتها لمليح الأرمني[٤]. ويستشف القارئ لكتاب كيناموس أنه كنَّ عداء شديداً للاتين وقلما كان

---

(١) قارن ما أورده كيناموس بما أورده كل من خونياتس ووليم الصوري:

Kinnamos, Deeds, pp.208-209 ; Choniates, N., O City of Byzantium: Annales of Niketas Choniates, trans. by Harry I. Magoulias, (Detroit,1984), pp. 91-98.

وكذلك: وليم الصوري: الحروب الصليبية، جـ٤، ص١١٦-١٧٧.

(2) Kinnamos, Deeds, pp.177-178.

(3) Kinnamos, Deeds, p.209.

(4) Kinnamos, Deeds, p.217.

يترك الفرصة تمر دون الهجوم عليهم، وفي الوقت ذاته تميز كتابه بالعرض المباشر وبالاقتصاد في التقديم للأحداث[١]، وبالرغم من ذلك فإن روايته مهمة وبخاصة أنه أثار نقاطاً صارت محل جدل ونقاش، وهو وإن جعل من عموري ملكاً تابعاً لمانويل فذلك لأنه كان رجل الإمبراطور الوفي الذي يسعى إلى تمجيده والإعلاء من شأنه[٢].

ويأتي كتاب نكيتاس خونياتس Niketas Choniates في المرتبة التالية لكتاب كيناموس، ويتناول كتابه الفترة الممتدة من اعتلاء يوحنا كومنينوس العرش عام ١١١٨م وحتى بدايات الإمبراطورية اللاتينية في القسطنطينية عام ١٢٠٦م[٣]. ويقع عمل خونياتس التاريخي في واحد وعشرين فصلاً مبتدءاً الأول بوفاة الإمبراطور

---

(١) طارق منصور: دراسة نقدية تحليلية، ص٢٠-٢١.

(٢) راجع:

Harris, Byzantium, p.93.

وأيضاً: ليلى عبد الجواد: حملات مانويل، ص٧٤.

(٣) وُلد نكيتاس خونياتس في منتصف القرن الثاني عشر، ربما عام ١١٥٥م/٥٥٠هـ تقريباً، في بلدة خوني Choni في آسيا الصغرى على الحدود البيزنطية- السلجوقية، وكان أبوه يشجع العلم والثقافة فبعث به إلى القسطنطينية في التاسعة من عمره للتعلم، وتكفل به أخوه ميخائيل خونياتس الذي كان بالقسطنطينية آنذاك، ونجمت شهرتهما عن موهبتهما؛ لأنه لم يكن لوالديهما اتصالات كبيرة، وبينما توجه ميخائيل إلى خدمة الكنيسة فقد توجه خونياتس إلى المجال السياسي، وشملت دراسة خونياتس القواعد والشعر والرياضيات والتنجيم والقانون والنظم السياسية إلى جانب الدراسة اللاهوتية.
وكان أول عمل حصل عليه خونياتس هو مساعدته لقسطنطين بيجونتيس كموظف ضرائب لولاية بونتس Pontos حينما كان عمره سبعة وعشرين عاماً، ثم أُدرِجَ اسمه في السكرتارية الإمبراطورية في حكم الإمبراطور ألكسيوس الثاني (١١٨٠م-١١٨٣م) في وقت مقارب من اعتلاء أخوه ميخائيل منصب رئيس أساقفة أثينا عام ١١٨٢م، وانسحب خونياتس من البلاط بعد قليل لاحتجاجه على اغتصاب إندرونيقوس كومنينوس للعرش البيزنطي عام ١١٨٣م، ولكنه عاد إلى القصر عقب اعتلاء اسحق الثاني أنجيلوس للعرش عام ١١٨٥م، حيث عمل سكرتيراً في خدمة الإمبراطور الجديد، وهي الوظيفة التي تعد تمهيداً للعمل في الحكومة الإمبراطورية، أما وفاته فقد حدثت في نيقية عن عمر يناهز الستين عاماً أو الواحد والستين فيما بين عامي١٢١٥،١٢١٦. للمزيد راجع:

Choniates, Annales, pp. X-XVII.

وأيضاً: طارق منصور: دراسة نقدية تحليلية، ص٢٣؛ محمود عمران: منهج البحث التاريخي، ص٢٩٦-٣٠٢.

ألكسيوس كومنينوس في ١٥-١٦من أغسطس ١١١٨م مروراً بعهد الإمبراطور يوحنا الثاني كومنينوس (١١١٨م-١١٤٣م)، وتناول من الفصل الثاني إلى الثامن عهد الإمبراطور مانويل الأول كومنينوس، أما بقية الفصول من التاسع حتى الحادي والعشرين فتتناول أحداث الدولة البيزنطية بدءاً من عهد ألكسيوس الثاني مروراً بأسرة أنجيلوس (١١٨٥-١٢٠٤م) وحتى استيلاء اللاتين على القسطنطينية عام ١٢٠٤م، وينتهي كتابه بأحداث خريف عام ١٢٠٦م، وذيَّل خونياتس كتابه بملحق موجز عن التماثيل التي دمرها اللاتين في القسطنطينية عند اقتحامهم إياها عام ١٢٠٤م[١]. ولم يُشِر خونياتس إلى استعانته بتاريخ كيناموس؛ ربما لأن تاريخ كيناموس كان معروفاً فقط داخل السكرتارية الإمبراطورية، وإنما أشار إلى استعانته بروايات مَنْ عَاصَرَ يوحنا الثاني ومانويل الأول من بين الموظفين الإمبراطوريين وغيرهم من الأسرات النبيلة، كما أفاد من الروايات الشعبية مضافة إلى أعمال أخيه ميخائيل خونياتس التي مثّلَتْ جانباً مهماً من المصادر التي اعتمد عليها نكيتاس خونياتس[٢].

وعليه فإن كتاب خونياتس مهم للغاية في معالجة العلاقات الخارجية للإمبراطورية البيزنطية مع مملكة بيت المقدس اللاتينية، حيث أدى وجود خونياتس في البلاط الإمبراطوري وعمله سكرتيراً به إلى قربه من الشخصيات الكبيرة والقادة الذين رافقوا مانويل وعاصروه، بيد أن ذلك - على ما يبدو - لم يكن كافياً لوقوف خونياتس على الكثير من الأحداث التي تخص علاقة عموري بمانويل، على العكس من كيناموس الذي قضى عمره في خدمة مانويل والبلاط البيزنطي، على حين لم يكن خونياتس قد انتهى من دراسته بعد حتى وفاة مانويل عام١١٨٠م، مما جعل صورة الأحداث غير كاملة لديه في أحايين كثيرة.

ومما وقع فيه خونياتس في هذا الخصوص - على سبيل المثال لا الحصر - إشارته المتأخرة إلى بوادر الاتصال بين عموري ومانويل، بحيث جعلها متأخّرة

---

(١) طارق منصور: دراسة نقدية تحليلية، ص٢٤-٢٥.

(2) Choniates, Annales, pp. X-XVII.

عامي ١١٦٨م/٥٦٤هـ، ١١٦٩م/٥٦٥هـ[١]، ومن جهة أخرى لم يذكر شيئاً عن زيارة الملك عموري للعاصمة البيزنطية عام ١١٧١م/٥٦٦هـ، وبمقارنة ما ذكره خونياتس عن استقبال مانويل لقلج أرسلان الثاني في بيزنطة وإفراده مساحة كبيرة من تاريخه لذلك الحاكم المسلم، تبين أن خونياتس كان متعمداً عدم التعرض لذلك الحدث أو رؤيته له بأنه حدث لا يستحق الذكر مثلما يشير هو ذاته إلى العديد من الأحداث التي يعالجها، خصوصاً أن زيارة عموري للعاصمة البيزنطية كانت الفريدة من نوعها التي قام بها أحد الملوك اللاتين إلى بيزنطة.

وقد يلمس سبب هذا التعمد من خلال الرواية المسهبة التي قدمها خونياتس عن الحملة الصليبية البيزنطية على دمياط عام ١١٦٩م/٥٦٥هـ؛ إذ صب خونياتس جام غضبه على تراخي الملك عموري وتقاعسه عن القتال، بحيث حمّلَهُ خونياتس في النهاية مسئولية فشل الحملة واتهمه بالعجرفة والحماقة، وعليه فإن خونياتس رأى في الزيارة التي قام بها عموري للعاصمة البيزنطية بعد الحملة بعامين - أي عام ١١٧١م/٥٦٦هـ - التي حاول عموري أن يصحح من خلالها علاقاته بالإمبراطور للإفادة من المساعدات الإمبراطورية أمر لا يستحق الذكر بناء على أن الفرصة لا تتكرر أكثر من مرة، وقد حصل عموري على الفرصة عام ١١٦٩م/٥٦٥هـ ولكنه أضاعها لذا فإنه لا ينبغي أن يلوم عموري أحداً إلا نفسه[٢].

وأما رواية خونياتس عن الحملة على دمياط فإنها كانت من أفضل ما قدم عن عصر الملك عموري بل وأوفى بكثير مما قدمه كيناموس عن الحملة ذاتها، إذ عرض خونياتس لبداية تحرك الأسطول البيزنطي ورحلة إبحاره وقادة الأسطول واختصاصات إندرونيقوس - قائد عام الأسطول - وحجم الأسطول وعدده ومؤنه، وكذا قدم وصفاً للحالة النفسية التي انتابت عموري حينما علم بوصول الأسطول البيزنطي إلى قبرص، وعرض تفصيلاً للأحداث التالية التي بدأت بتأخير عموري لوقت تحرك الأسطول والجيش دون أن يقدم أعذاراً مقبولة، ثم انفرد خونياتس بذكره

([1]) Choniates, Annales, p. 91.

([2]) Choniates, Annales, pp.95-98.

لاستيلاء الأسطول البيزنطي على تنيس، وإشارته إلى أسباب مهاجمة دمياط تحديداً، بسبب غنى أهلها وثرائهم ولموقعها المهم، ثم تطرق إلى العمليات الحربية التي أبدت إندرونيقوس بالوحيد الذي يقوم وحده بالعمليات الحربية[1].

وقد قدم وليم الصوري - في روايته عن الحملة - دلالات كثيرة على صحة ما قدمه خونياتس عن العمليات الحربية الأخرى التي انتهت بالفشل في الاستيلاء على دمياط، كما انفرد خونياتس بإيراده خطبة ربما كانت من قلمه هو - لا إندرونيقوس - يُلخص فيها الموقف السلبي الذي أبداه عموري تجاه الحملة وتبرز عزم إندرونيقوس على التخلي عن أوامر الإمبراطور في إطاعة عموري حينما قرر إندرونيقوس القيام بهجوم منفرد للاستيلاء على دمياط وهو الهجوم الذي أحبطه الملك عموري، ومما يؤيد أن الخطبة من تأليف خونياتس أنه لم يكن مصاحباً للحملة ولم يكن في البلاط البيزنطي آنذاك، ولكن من الواضح أنه أفاد فيما بعد ممن رافق الحملة واستقى مادته عنهم بشكل مستفيض، بحيث كانت رواية خونياتس هنا معتدلة ومتوافقة في كثير من تفاصيلها مع ما أوردته المصادر البيزنطية الأخرى فضلاً عن اللاتينية والعربية، ولكن لم يصرّح خونياتس - مثله مثل وليم الصوري - بحدوث صلح بين قادة الحملة وبين المصريين، وإنما قدم عبارة غامضة ومتحفظة لا تصرح بحدوث الصلح مثلما لا تنفي حدوثه[2].

ومما أغفله خونياتس عدم إشارته إلى أي دور للملك عموري في التصدي لمليح بعكس كيناموس ووليم الصوري، وكذا حدث زواج عموري من إحدى أميرات الإمبراطورية البيزنطية، وعدم تحديده لبداية المفاوضات بين المملكة والإمبراطورية، مثلما لم يُشِر إلى الدور الذي قامت به الإمبراطورية في معركة حارم، أو أي إشارة لحملات عموري على مصر، كما يبدو أيضاً أنه لم يعلم بأمر السفارة البيزنطية التي أرسلها الإمبراطور مانويل إلى الملك عموري وإلى ما ترتب عليها من تقارب بين

([1]) Choniates, Annales, pp.91-98.

([2]) قارن رواية خونياتس في هذا الصدد برواية وليم الصوري:

Choniates, Annales, pp. 96-98.

وليم الصوري: الحروب الصليبية، جـ٤، ص١٧٠-١٧٧.

الإمبراطور مانويل كومنينوس وعموري، بل إنه لم يُشِر إلى زيارة عموري للقسطنطينية عام ١١٧١م/٥٦٦هـ[١].

وأفاد الباحث مما قدمته رحلة يوحنا فوكاس Joannes Phocas المنشورة في مجموعة جمعية نصوص حجاج فلسطين Palestine Pilgrims Text Society[٢]، وقد اعتمد الباحث على الجزء الخامس من هذه المجموعة الذي وردت به رحلة يوحنا فوكاس التي قام بها حوالي عام ١١٨٥م[٣].

وتحظى رحلته بمكانة مميزة بين الرحلات التي حدثت في تلك الفترة؛ لما حوته من وصف لمدن الساحل الشامي وبعض الجوانب الصحية المهمة، وإشارات متفرقة عن القلاع والحصون. وقد انعكس ارتباط فوكاس بالإمبراطورية البيزنطية وحبه للإمبراطور مانويل على بعض ما جاء في رحلته. وتتسم رحلة يوحنا بأنها عبارة عن لوحة واضحة المعالم للمملكة وكأنها دليل للحجاج الوافدين للزيارة، كما تُقدّم رحلته ملمحين بارزين أولهما ديني ممثل في الكنائس والأديرة، والثاني فيما أوردته عن الأنشطة الاقتصادية والكثافات السكانية وبخاصة في المدن الساحلية[٤].

---

(١) طارق منصور: دراسة نقدية تحليلية، ص٢٩.

(٢) تقع هذه المجموعة في ثلاثة عشر جزءاً، وصدرت في لندن في الفترة من ١٨٩٠إلى ١٨٩٧م، وتحتوي على مادة تاريخية وجغرافية مهمة مما يفيد في دراسة النواحي السياسية والحضارية وبخاصة الكنسية المرتبطة بالوجود الصليبي في بلاد الشام في العصر الصليبي. وعن يوحنا فهو حاج يوناني وُلد في جزيرة كريت Crete لأب يُدعى ماثيو Mathiew وقد ظل أبوه يعمل في السلك الكهنوتي حتى اعتلى منصباً مهماً، ثم مات أبوه في جزيرة باتموس Patmos والتحق يوحنا فوكاس بالجيش البيزنطي في عصر الإمبراطور مانويل، وقد تزوج فوكاس وأنجب ولداً وانخرط بعد ذلك في السلك الكهنوتي مما أثر في شخصيته، وقد اتضح ذلك من خلال حرصه على زيارة الأماكن الدينية من كنائس وأديرة في الأراضي المقدسة مقدماً أوصافاً مهمة عن مناطق الصليبيين لاسيما مدينة عكا.

(3) Jonnes Phocas, The Pilgrimage of Joannes Phocas in the Holly Land in the year 1185 A.D), in PPTS., trans.by Aubery Stewart, M.A., Hanover Square, (London,1896), p.93.

(٤) محمد مؤنس عوض: الرحالة الأوربيون في مملكة بيت المقدس الصليبية، القاهرة، ١٩٩٢م، ص٣١٤-٣٣٢.

ولعل أهم ما يميز رحلة يوحنا فوكاس بالنسبة لموضوع الدراسة ما أشار إليه فوكاس عن النقش الموجود في كنيسة القبر المقدس في بيت لحم الذي يصف فيه مانويل بالمولود في العباءة الأرجوانية، وذلك خلال وصفه لأحد الأعمال الزخرفية التي أنجزت برعاية مانويل وفي عصر الملك عموري، وهي إشارة وإن كانت مختزلة لم يزد حجمها عن سطرين فإنها أثارت مناقشات حادة -بين المؤرخين المحدثين- حول دلالاتها، إذ ذهب بعضهم إلى استناده إليها في ترجيح وجود سيادة بيزنطية للإمبراطور مانويل على المملكة في عصر عموري مستشهداً بما أورده فوكاس، ومؤكداً ذلك بالإشارة إلى النقش الآخر الموجود في كنيسة الميلاد المؤرخ بعام ١١٦٩م/٥٦٥هـ والذي صدّرَ اسم مانويل قبيل اسم عموري في تمجيده بصفته القائم برعاية أعمال الترميم والزخرفة في كنيسة الميلاد[١].

وتنبع أهمية المصادر الأرمنية وقيمتها في معالجة الجانب الأرمني من سياسة الملك عموري، هذا على الرغم من أن الأرمن لم يشكلوا عنصرا مهماً في سياسته بل كانوا يظهرون بشكل باهت من وقت لآخر على مسرح أحداث المملكة. وقد اعتمد الباحث على أحد المصادر الأرمنية الممثلة في حولية سمباد Smpat، وتشتمل حوليته الفترة ١١٩٢-١٢٧٤م وملحق بها مذكرة عن سمباد نفسه ويتبعها ملحق باللغتين الأرمنية والفرنسية عن الهيئات الحربية والكنيسة[٢]. وقد أفاد الباحث من الإشارات

---

(١) عن هذين النقشين مقارناً بما أورده فوكاس انظر:

Phocas, The Pilgrimage, p. 93; De Vogue, M., Les Eglises de La Terre Sainte, (Paris, 1860), p.99; Hamlton, The Latin Church in the Crusader States, (London, 1980), pp.96-97.

(٢) وُلد سمباد في عام ١٢٠٨م/٦٠٤هـ وهو ابن قنسطنطين الأول جاثليق الارمن وشقيق الملك هيثوم الذي تزوج من إيزابيلا وريثة ليو الثاني، وحين تولى هيثوم الحكم حلت أسرة لامبرون محل أسرة روبين في قيليقية، وقد احتفظ سمباد بوظيفة الكندسطبل حتى عام ١٢٧٦م/٦٧٤هـ =وهو العام الذي مات فيه. وكتب سمباد تاريخه عن مملكة أرمينية الصغرى ليغطي الفترة من عام ١١٩٢م/٥٨٩هـ إلى عام ١٢٧٤م/٦٧٢هـ. راجع: حسين عطية: إمارة أنطاكية، ص٦٩. وقد اعتمد الباحث على نسخة ديديان المترجمة للفرنسية. انظر:

Smbat, La Chronique Attribuée au Connétable Smbat, Introduction,

الموجزة التي أوردها سمباد في حوليته، فبداية أشار إلى زيارة عموري للإمبراطور مانويل عام ١١٥٩م/٥٥٤هـ خلال تواجد الأخير في معسكره أمام أسوار أنطاكية عام ١١٥٩م/٥٥٤هـ وإلى إغداق مانويل على عموري بالهدايا والأموال[١].

وأشار سمباد -أيضاً- بإيجاز إلى توجه عموري نحو الشمال عقب اعتلائه العرش لفض النزاعات القائمة بين الأرمن من ناحية والبيزنطيين من ناحية أخرى عام ١١٦٤م/٥٥٩هـ[٢]، ومما أسهب سمباد في سرده ما أورده عن مليح الأرمني ومصادرته لأموال للأرمن وإهانتهم خلال فترة تحالفه مع نورالدين محمود في الفترة ١١٦٨-١١٧٤م/٥٦٤-٥٦٩هـ وكذا محاربته للبيزنطيين مما استدعى تدخل الملك عموري لفض تلك المنازعات حيث كللت مساعيه بالنجاح، وقد حملت رواية سمباد تفاصيل جمة عن أعداد الجيوش والأسرى والقتلى[٣].

أما المصادر السريانية فقد اعتمد الباحث على اثنين منها يتصدرها تاريخ ميخائيل السرياني Michel Le Syrien البطريرك اليعقوبي لأنطاكية من عام ١١٦٦م/٥٦١هـ إلى عام ١١٩٩م/٥٩٥هـ[٤]. وُلِدَ ميخائيل - الذي يعرف بالكبير بسبب الأعمال المهمة التي قام بها خلال خدمته أو بالسرياني - عام ١١٢٦م في مدينة ملطية الواقعة على الضفة اليمنى لنهر الفرات، وهي واحدة من المراكز المهمة للسريانية فيما مضى وتوفي عام ١١٩٩أو ربما عام١٢٠٠م[٥].

Traduction et notes par Gerard Dedeyan, (Paris, 1980).

([1]) Smbat, La Chronique, pp.45-46.

([2]) Smbat, La Chronique, p.48.

([3]) Smbat, La Chronique, pp.52-53.

([٤]) ميخائيل السرياني: تاريخ مار ميخائيل السرياني الكبير، ترجمة: مار غريغوريوس صليبا شمعون، ط١، دار ماردين، حلب، ١٩٩٦م، جـ٣، ص١٠-٣٣،٨٢. وقد اعتمد الباحث على النسخة المترجمة إلى اللغة العربية والمذكورة بعالية، وحينما وجد بها نقصاً اضطر إلى الاعتماد على النسخة التي ترجمها شابو Chabot إلى الفرنسية .انظر:

Michel Le Syrien, Chronique, (ed.) J.B.Chabot, t.III, (Paris, 1899–1924).

([٥]) ينتسب ميخائيل السرياني إلى عائلة آل قنداسي وكان أبوه كاهناً معروفاً باسم القس إيليا آل قنداسي، وعمل عمه أثناسيوس زكا مطراناً لمدينة عين زربة، وفيما بعد قام ميخائيل بجولة في

وفيما يخص الأوجه التي استفاد منها الباحث من خلال مطالعته لتاريخ ميخائيل السرياني تحديده للمبلغ المالي الذي طالب به عموري مصر في حملته الأولى عليها، إذ حدده بمائة وستين ألف دينار مخالفاً بذلك تقدير المقريزي لذلك المبلغ الذي قدّرَهُ بثلاثة وثلاثين ألف دينار[1]، كما كانت روايته مفيدة في إيضاح صورة تدخل عموري في أنطاكية وذلك لفض نزاع رعايا أنطاكية بمساعدة الأرمن ضد محاولة الأميرة كونستانس انتزاع الوصاية على أنطاكية لنفسها، وكذا أحداث محاربة الأرمن للبيزنطيين التي لم تُحلّ إلا بتدخل الملك عموري عام ١١٦٣م/٥٥٨هـ[2]، وكان لميخائيل رأي مغاير لما ذكره المؤرخون اللاتين والبيزنطيون والعرب بخصوص قيام توروس الثاني بالضغط على نورالدين في مرعش لإطلاق سراح بوهيمند الثالث

الأبرشيات السريانية في بلاد الشام والتقى ببطريرك بيت المقدس وبطريرك أنطاكية حيث مكث في الأخيرة عام قبل عودته إلى دير مار برسوم، ولقي ميخائيل الترحيب في تلك الجولات من قبل المصريين واللاتين والأرمن على حد سواء.وقد عاش ميخائيل في فترة ضعف العباسيين واختراق الصليبيين للبلاد الإسلامية وسط ذلك الضعف، ولذا فإنه ظل ناقماً على ما قام به الصليبيون من توجيه الذل والإهانة للمسيحيين الشرقيين في دمشق وحران وأمد ومارادين والموصل وسائر أنحاء المملكة، كما رفض ما عرضه عليه رسول مانويل كومنينوس عام١١٧٣م/٥٦٨هـ بشأن إقامة وحدة مع البيزنطيين والدعوة للسلام.

وتتناول حولية ميخائيل الفترة من عام ١٠١١م إلى عام ١٢٠٠م، واعتمد مؤلفها على عدد من المؤلفات السريانية المفقودة علاوة على بعض المصادر العربية، ولذا فإن حوليته تُعَدُ في طليعة مصنفاته في التاريخ الكنسي والمدني؛ بسبب تحريه الصدق واعتماده على أشهر المؤرخين الكنسيين والمدنيين، وعليه فقد جاءت حوليته حجة تاريخية قيمة يرجع إليها من ينشد الحقيقة. ويلاحظ توخي ميخائيل الحقيقة من خلال إثباته للحدث دون زيادة أو نقصان حتى ما يبدو له من تصرفات شاذة من رجال الكنيسة، ومن خلال ما كتبه هو ذاته من حرصه على تدوين الخبر الصحيح وطلبه من قارئه الصفح عنه إذا ما أخطأ في تدوين تاريخ مهم، سواء تعيين حاكم أو بطريرك؛ لأن ذلك قد يختلف فيه البعض ما بين الشهر والشهرين أو أكثر أو أقل. راجع: ميخائيل السرياني: تاريخه، ص٨٢.

([1]) Michel Le Syrien, Chronique, t.III, p.358.

قارن رواية السرياني برواية المقريزي.انظر:

المقريزي: اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق: محمد حلمي أحمد، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م، جـ٣، ص٢٥٩، ٢٦٢، ٢٦٤.

([2]) Michel Le Syrien, Chronique, t.III, p.319.

Bohemund III أمير أنطاكية عام ١١٦٤م/٥٥٩هـ[١]، بيد أنه لم يشر إلى زيارة الأمير توروس للمملكة الصليبية في عصر الملك عموري بحيث انفرد المؤرخ اللاتيني إرنول بذكرها دون بقية المصادر[٢].

ومن جهة أخرى بدا كُره ميخائيل للبيزنطيين فيما قدمه عن حملة دمياط عام ١١٦٩م/٥٦٥هـ؛ لأنه انفرد بإشارته إلى نية البيزنطيين البقاء في مصر والاستيلاء على دمياط عقب تيقن عموري والقائد البيزنطي من صعوبة الاستيلاء عليها[٣]، وأسهب ميخائيل في حديثه عن محاربة عموري للأمير مليح الأرمني بحيث يقدم له صورة مشرقة ربما لم يقدمها وليم الصوري عن الحدث ذاته، وهي صورة تُضخّم مما قام به عموري وتعطي تفاصيل تحركاته ومحاربته لمليح الأرمني[٤]. هذا ما أفاده الباحث من كتاب ميخائيل، وبالرغم من كونها إشارات جاءت عرضاً في السياق العام ولتعلق بعض أحداث المملكة بالأرمن في قيليقية فإنها جاءت على قدر كبير من الأهمية.

ويُعد ابن العبري من أهم من كتب باللغة السريانية من المؤرخين عن القرن الثالث عشر[٥]، وقد أفاد الباحث مما قدمه ابن العبري من معلومات مهمة في كتابه

---

(1) Michel Le Syrien, Chronique, t.III, pp.80-81.

(2) Ernoul, Chronique, pp.27-29.

(3) Michel Le Syrien, Chronique, t.III, pp.380-381.

(4) Michel Le Syrien, Chronique, t.III, p.331.

(٥) هو أبو الفرج غريغريوس بن هارون الملطي المشهور بابن العبري نسبة إلى قرية عبرا، وهي إحدى قرى ملطية المولود فيها عام ١٢٢٦م/٦٢٣هـ، وكانت نشأته فيها حيث درس اليونانية والسريانية والعربية وعلوم أخرى مثل الطب والفلسفة واللاهوت، وقد اضطرت أسرته إلى الهرب إلى أنطاكية بسبب الغزو المغولي، ثم ارتحل منها ابن العبري إلى طرابلس وتنقل بين بلاد الشام وشمال العراق حتى عين في إحدى بلداتها المعروفة ببلدة جوباس رئيساً لأساقفة الشرق، واستمر في منصبه حتى وافاه الأجل في بلدة مراغة من أعمال أذربيجان عام ١٢٨٦م/٦٨٥هـ في الستين من عمره. ولم يكن التاريخ جل اهتمامات ابن العبري - على عكس حال ابن الأثير - وإنما جاء اهتمامه بالتاريخ في مكانة تالية وهو يشبه ابن الأثير في كونه من مواليد القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي، كما غلبت الصفة الدينية على الحياة الوظيفية لابن العبري التي أوصلته إلى مركز مرموق في سلم المناصب الدينية، وعلى الرغم من أن رواية ابن العبري - عن الفترات المتقدمة - زخرت

تاريخ الزمان، سواء فيما يتعلق بالجانب الأرمني من سياسة عموري أم في دراسة سياسة عموري العامة. إذ أشار ابن العبري إلى عدة أحداث تتعلق بالجانب المصري في سياسة الملك عموري، من ذلك تقديمه لصراع شاور وضرغام بوصفه العامل الأساس في توجيه أنظار كل من عموري ونورالدين نحو مصر[١]، ثم تابع ابن العبري روايته عن ذلك الصراع الذي انتهى بفشل عموري في الاستيلاء على مصر، فأشار إلى انتصار عموري على ضرغام في حملة عموري الأولى على مصر[٢]، وأوجز في إشارته عن معركة حارم واستيلاء نورالدين على بانياس[٣]، وقدم وجهاً آخر لأسباب إطلاق نورالدين لسراح بوهيمند الثالث حينما أشار إلى مهاجمة توروس الثاني لمدينة مرعش وأسره لعدد كبير من المسلمين الذين ضغط بهم على نورالدين لإطلاق سراح بوهيمند الثالث[٤]، كما تحدث ابن العبري بإيجاز عن الصعوبات التي واجهت شيركوه خلال تحركه إلى مصر في حملته الثانية عليها[٥]، وأعقب ذلك بالإشارة إلى أحداث معركة البابين وحصار الإسكندرية[٦]، وأشار أيضاً إلى تعيين مانويل لبطريرك أرثوذكسي في أنطاكية[٧]، ترتب عليه ارتماء الكنيسة اليعقوبية في أحضان اللاتين واتخاذهم جانباً معادياً من سياسة بيزنطة في العالم المسيحي الشرقي.

بالحكايات والنوادر التي يصعب الوثوق بها فإنه حينما يكتب عن الأحداث التي وقعت في زمنه فإنه يورد من الروايات القيمة الصادقة ما لم يرد في مصدر آخر. انظر في ذلك:
حمود بن محمد بن علي النجيدي: "منهجية ابن العبري التاريخية تجاه أحداث الحروب الصليبية مقارنة لمنهجية ابن الأثير"، مجلة المؤرخ العربي، عدد٩، المجلد الأول، مارس، ٢٠٠١م، ص٥٢٧-٥٢٨.

(١) ابن العبري: تاريخ الزمان، نقله إلى العربية الأب إسحق أرملة، دار المشرق، بيروت- لبنان، ١٩٨٦م، ص١٧٤-١٧٧.
(٢) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص١٧٤.
(٣) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص١٧٦-١٧٧.
(٤) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص١٧٧.
(٥) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص١٧٨.
(٦) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص١٧٨-١٧٩.
(٧) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص١٧٧.

وقدم ابن العبري تفسيراً وافق به ابن الأثير في عوامل مهاجمة عموري لمصر في حملته الرابعة عليها عام ١١٦٨م/٥٦٤هـ[١]، وأشار إلى دور نورالدين العسكري في شمال بلاد الشام في فترة تحرك عموري نحو مصر[٢]، وأسهب في عرضه لمساومات شاور للملك عموري عام ١١٦٨م/٥٦٤هـ حتى يكسب الوقت ريثما يصل شيركوه إلى مساعدته مما تسبب في فشل عموري في تحقيق أي نفوذ واقعي له في مصر التي رحل عنها دون أن يفقد روابطه بشاور نهائياً[٣]، وقد أوضح ابن العبري مدى ضخامة الجيش الذي رافق شيركوه للتصدي للملك عموري في مصر ولكن دون أن يحدد رقماً معيناً. وفيما يخص الجانب الأرمني من سياسة عموري فقد أشار بإيجاز إلى تدخل عموري في بداية حكمه لفضّ نزاع الأرمن مع البيزنطيين، وأشار إلى معارضة الأنطاكيين والأرمن لازدياد نفوذ الأميرة كونستانس في أنطاكية توخياً لعدم امتداد النفوذ البيزنطي إلى أنطاكية وازدياده فيها وإلى دور عموري في فض هذا النزاع، كما أشار ضمناً إلى تحسن علاقات الأرمن بالبيزنطيين على إثر مشاركة الطرفين في معركة حارم[٤]، ثم أشار إلى دور عموري في أحداث تأديبه للأمير مليح الأرمني الثائر على النفوذ البيزنطي في قيليقية[٥].

وكان للمصادر العربية الدور الأكبر في الكشف عن الجانب الإسلامي من سياسة الملك عموري. ومما اعتمد عليه الباحث منها ما قدمه عمارة اليمني في كتابه الموسوم "بالنكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية"[٦]، وقد وضع عمارة اليمني

---

(١) قارن: ابن العبري: تاريخ الزمان، ص١٨١ مع ابن الأثير: الكامل في التاريخ، عنى بمراجعة أصوله والتعليق عليه نخبة من العلماء، ط٥، دار الكتاب العربي، بيروت،١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، جـ٩، ص١٠٠؛ التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل، تحقيق: عبد القادر طليمات، القاهرة، ١٩٦٣م، ص١٣٨.

(٢) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص١٧٦-١٨٢.

(٣) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص١٨٢.

(٤) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص١٧٦-١٨٠.

(٥) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص١٧٩-١٨٠.

(٦) يعرف عمارة بأنه نجم الدين أبو محمد عمارة بن أبي الحسن على بن زيدان الحكمي الشاعر اليمني، ولد في مدينة مرطان بوادي صاع باليمن، وأرسله أبوه في صغره - ربما في عام

كتابين في التاريخ أحدهما عن تاريخ اليمن والثاني ما يهم الباحث وهو النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية، حدد فيه عمارة منهجه بوضوح شديد قائلاً "قد أتيت على نبيذة يسيرة من الفِقر العصرية فيما شاهدت من أحوال الوزراء المصرية، وأنا ذاكر في هذا المختصر نتفاً جرت لي مع أقارب الوزراء وأكابر الأمراء، فما منهم إلا من كاثرته وعاشرته وبلوت سمينهم وغثهم وقويهم ورثهم[1]". وحرص عمارة على الالتزام بهذا المنهج، ذلك أن تاريخه الموسوم بالنكت العصرية عبارة عن نتف صغيرة للغاية من الأخبار المتتالية التي لا يتجاوز بعضها عدة أسطر، بيد أنه لم يشذ عن المنهج الذي أشار إليه، وقد حملت تلك النتف أخباراً في غاية الأهمية وتواريخاً اعتمد عليها من أخذ عنه في إثبات بعض الأحداث، ومن هؤلاء ابن الأثير[2] والمقريزي[1] وأبو شامة[2] وابن خلكان[3] وغيرهم بحيث كان تاريخ عمارة

١١٣٧م/٥٣١هـ - إلى زبيد للتعلم والدراسة فلازم عمارة الوزير مسلم بن سخت وأقام بين أولاده، وعكف خمس سنوات على الدراسة، ثم أقام في زبيد مدة أخرى يتفقه على مذهب الشافعي ويقرأ على الطلبة الفرائض في المواريث، حيث وضع في تلك الفترة مصنفاً في الفرائض كان يُقرأ في اليمن على عصره ومما أتقنه عمارة أيضاً قرضه للشعر. وقضى عمارة أفضل سنواته في اليمن فيما بين عامي ٥٣٨-٥٤٨هـ عندما اقترب من القائمين على دولة فاتك صاحب زبيد وصاحبهم وعاشرهم، حينها كثرت أمواله وتيسرت أحواله خصوصاً بعد عمله بالتجارة، فكسب أموالاً جزيلة وصار أكابر اليمن يترددون إليه.

ويُشير عمارة إلى كثرة حساده الذين اتهموه بمحاولة التواطؤ مع أحد الخارجين على نفوذ الدولة الفاطمية في محاولة امتلاكه زبيد وأن عمارة ساعده على ذلك، فقرر عمارة بعدها ترك اليمن إلى مصر، حيث دخلها لأول مرة عام ١١٥٥م/٥٥٠هـ رسولاً من قبل قاسم بن هاشم بن فليتة صاحب مكة (١١٥٤-١١٦١م/٥٤٩-٥٥٦هـ) وقد لاقى عمارة في رحلته من اليمن إلى مصر عناء شديداً مما يبدو من وصفه لها، حيث وصل إلى مصر عام ١١٥٥م/ ٥٥٠هـ في خلافة الفائز بن الظافر ووزيره آنذاك الملك الصالح طلائع بن رزيك، وكان سبب قدوم عمارة هذه المرة إنما للإصلاح بين قاسم وبين الفاطميين، ثم عاد عمارة إلى مصر مرة أخرى بعد عامين حيث حظي لدى الفاطميين بالثقة وتمتع بالخطوة الكبيرة في بلاطهم ونال الكثير من عطاياهم، وبالرغم من قربه الشديد إلى الفاطميين فإنه ظل محتفظاً بمذهبه السني.راجع: عمارة اليمني: النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية، القاهرة، (د.ت)، ص٢٦-٣٤؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا، ص٢٢٤، حاشية ٣.

(١) عمارة اليمني: النكت العصرية، ص٩٣.

(٢) قارن: ابن الأثير: الكامل، جـ٩، ص٨١-٩٦.

حجة في بعض الأحيان لما أشكل على هؤلاء المؤرخين في تعيين تاريخ حادثة ما في فترة صراع شاور وضرغام.

ومن جهة أخرى جاءت رواية عمارة في وقت مهم بالنسبة لفترة الدراسة لأنه قدّم وصفاً موجزاً من داخل القصر الفاطمي ذاته من خلال معايشته لوزراء الدولة وكبار قادتها ورجالها عن سوء الإدارة والفساد الذي عشش في أجزاء متفرقة من الدولة[٤]، وبالرغم من الحرص الشديد الذي أبداه عمارة اليمني في محاولته التمسك بمذهبه السني الشافعي وصدّه لأغلب المحاولات التي جذبته لاعتناق التشيع، وتجنبه لما قد يسيء إلى أهل السنة والسلف فإنه كان شديد الولاء للفاطميين ولدولتهم التي أسبغت عليه من النعم ما يجل عنها الوصف[٥]، وقد بدا ولاء عمارة في حرصه على عدم سب من قُتِلَ من الوزراء لمشايعة من قَتَلَهُ؛ لأنه كما يقول سوف تدور الدائرة على القاتل ليصير مقتوُلاً بعد قليل[٦]، بيد أنه أحب الملك الصالح طلائع بن رزيك وأخلص له، كما أخلص لشاور وأبغض ضرغام، وكان يكره قدوم أسدالدين شيركوه وصلاح الدين إلى مصر، ولكن كانت روايته محايدة وتكاد تقتصر على حمل الحادثة وتاريخها - إذا ما أمكن - في إيجاز.

وانعكس ذهاب الدولة الفاطمية على وضع عمارة في مصر خصوصاً في ظل المنافسة القائمة بين رجال الأدب في ذلك العصر، فلم يتوقع أحد أن تزول نعم الفاطميين عن شعراء القصر الفاطمي فيما بعد انتهاء الفاطميين، فوجد عمارة نفسه مسلوب المال والنفوذ هو وغيره من أنصار الفاطميين، فقاموا بمحاولة للتخلص من

---

(١) قارن: المقريزي: اتعاظ الحنفا، جـ٣، ص٢٥٦، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٤-٢٦٦، ٣٨٥.

(٢) قارن: أبو شامة: الروضتين في أخبار الدولتين، تحقيق: محمد حلمي أحمد، مراجعة محمد مصطفي زيادة، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٨م، جـ١، ق١، ص ٤١٧، جـ١، ق٢، ص٣٢٩، ٣٣٢-٣٣٣، ٣٦٧، ٤٢٧-٤٣٠.

(٣) قارن: ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، ١٩٧٨، جـ٢، ص٤٤٢-٤٤٤، جـ٥، ص١٤٦.

(٤) عمارة اليمني: النكت العصرية، ص٩٣، ١٢٣.

(٥) عمارة اليمني: النكت العصرية، ص٤٣، ٥٤، ٥٧، ٦٦، ١١٠.

(٦) عمارة اليمني: النكت العصرية، ص٤٢، ٤٤.

صلاح الدين بمساعدة الملك عموري وجرت بينهما مراسلات لأجل هذا الغرض، بيد أن صلاح الدين اكتشف مؤامرتهم وصلب عمارة ومن شاركه أفكاره عام ١١٧٤م/٥٦٩هـ[١].

ومن هنا تأتي أهمية ما ذكره عمارة عن الأحداث الأخيرة من الصراع على منصب الوزارة، وبخاصة في عصري شاور وضرغام واستعانتهما بالملك عموري في محاولات متتالية للحفاظ على المنصب، ومما استفاد منه الباحث من تاريخ عمارة تحديداً الوقوف على الظروف الحرجة التي أدت إلى طرد ضرغام لشاور من الوزارة[٢]، وإلى قدوم عموري إلى مصر في حملته الأولى عليها عام ١١٦٣م/٥٥٨هـ وتأكيد عمارة على بقاء شاور في مصر مراقباً ومشاهداً لما يدور من صراع بين كل من عموري وضرغام، انتهى بتفجير ضرغام للجسور التي تمنع مياه الفيضان في وجه عموري فاضطر عموري إلى الانسحاب[٣]، علاوة على إشارة عمارة إلى توجه شاور إلى طلب مساعدة نورالدين، وتقديمه رواية مهمة عن كيفية قضاء شاور وشيركوه على ضرغام مدعمة بالتواريخ المهمة، ثم أشار إلى تنكر شاور للجهود التي بذلها له شيركوه وإلى طلب شاور مساعدة عموري لطرد شيركوه من مصر وما انتهى إليه حال حصار عموري وشاور لشيركوه في مدينة بلبيس[٤].

وقدّمَ عمارة نتفاً أخرى من الأخبار عن معاهدة عموري مع شاور والخليفة الفاطمي العاضد عام ١١٦٧م/٥٦٢هـ، وألمح إلى كثرة الأموال التي اغترفها الملك عموري من الخزانة المصرية في تلك الحملة بالذات[٥]، كما كانت له رؤية تعليلية في أسباب ضياع الدولة الفاطمية، أخذها عنه كل من ابن الأثير والمقريزي وغيرهم، تلك التي لعب فيها ضرغام دوراً مهماً في القضاء على أمراء الدولة الذين رباهم طلائع بن رزيك ثم جاء دور شاور ممثلاً في إنهاكه للدولة وقضائه عليها تماماً حينما سمح

---

(١) راجع في ذلك: ابن الأثير: الكامل، جـ٩، ص١٢٣-١٢٤.
(٢) عمارة اليمني: النكت العصرية، ص٦٦، ١١٠.
(٣) عمارة اليمني: النكت العصرية، ص٧٥.
(٤) عمارة اليمني: النكت العصرية، ص٧٤-٧٧.
(٥) عمارة اليمني: النكت العصرية، ص٧٩-٨٠.

بتدخل كل من عموري ونورالدين في شئونها[1]، فهذا وغيره من النتف القليلة التي أشار إليها عمارة كان مفيداً للباحث في طرق أبواب العديد من القضايا بالتحليل والمقارنة، ولكن ما يؤخذ على الكتاب عدم اتساق مادته التاريخية المعروضة، بحيث افتقدت إلى أي من التسلسل التاريخي أو الموضوعي، وكانت نتف عمارة - كما سماها هو أو قصصه القصيرة - غامضة أحياناً في تحديدها للأماكن على وجه الدقة، بيد أن ذلك لا يُضعف من القيمة التاريخية التي حواها هذا المصدر خصوصاً أن الباحث يلتمس لعمارة العذر في تنبيهه على إتباعه هذا المنهج.

وأما كتاب بهاء الدين ابن شداد[2] المعروف بالسيرة الصلاحية أو النوادر

---

(1) قارن رواية عمارة اليمني: النكت العصرية، ص٧٤-٧٩ برواية ابن الأثير: الكامل، جـ٩، ص٨٤-٨٥ وبرواية المقريزي: اتعاظ الحنفا، جـ٣، ص٢٦٣-٢٦٤.

(2) هو أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم الذي اشتهر بابن شداد، ذلك أن شداد كان جده لأمه ونظراً لوفاة والده وهو في سن صغير فقد انتقل للمعيشة مع أخواله من بني شداد فنُسِبَ إليهم. وُلد ابن شداد في الموصل عام ١١٤٥م/٥٣٩هـ وتوفي في حلب عام ١٢٣٤م/٦٣٢هـ.

ويتميز ابن شداد بأنه يكتب بحس عال وأمانة يقظة وذلك على الرغم من التحيز الشخصي الذي يلمح في ثنايا تاريخه؛ إذ كانت علاقته مباشرة بصلاح الدين - ليس قبل عام ١١٨٤م/٥٨٠هـ - بوصفه سفيراً له في الموصل، ولم ينضم إليه بصفته قاضياً للجيش حتى عام ١١٨٨م/٥٨٤هـ. ويُعدّ كتابه ليس فقط سجلاً دقيقاً وأميناً للأحداث كما رآها، وإنما يقدم - أيضاً - مادة لا تتوافر في مصدر آخر، وبخاصة الدوافع التي اتخذ فيها صلاح الدين العديد من القرارات الحرجة، ولكنه يمر مرور الكرام على السنوات التسعة عشر ما بين ١١٦٩م-١١٨٨م/٥٦٥-٥٨٤هـ على الأحداث بدون ذكر للتفاصيل الدقيقة.

ويقرر ابن شداد - في بداية كتابه - المنهج الذي سوف يسير عليه مؤلفه، وهو أنه جمع محاسن صلاح الدين عن الثقاة من شهود العيان - مع أنه كان معاصراً لصلاح الدين - ومن الخبر الذي يتيقن من صدقه *"ليستدل بالقليل على الكثير، وبالشعاع على المستطيل بعد المستطير... وجعلته قسمين أحدهما في مولده رحمة الله ومنشئه وخصائصه وأوصافه وأخلاقه المرضية وشمائله الراجحة في نظر الشرع الوفية، والقسم الثاني في تقلبات الأحوال به ووقائعه وفتوحه وتواريخ ذلك أيام حياته"*.

انظر: ابن شداد: سيرة صلاح الدين المسماة النوادر السلطانية والمحاسن اليوسيفية، تحقيق: جمال الدين الشيال، القاهرة، ١٩٦٤م، ص٣-٤. وكذلك: نظير حسان سعداوي: المؤرخون المعاصرون لصلاح الدين الأيوبي، القاهرة، ١٩٦٢م، ص١٤-١٩.وأيضاً:

Gibb.H.A.,"The Arabic source for the life of Saladin", in Speculum, (1950), p.58.

السلطانية والمحاسن اليوسيفية، فإنه من المصادر التي تعبر عن لسان حال صلاح الدين. وتنبع قيمة ما كتبه ابن شداد بوصفه كان ملازماً لصلاح الدين ومقرباً إليه، علاوة على ما يتسم به ابن شداد من معاصرته للأحداث وبخاصة الفترة الخاصة ببداية اتجاه صلاح الدين وشيركوه صوب مصر في صراعهما مع عموري عليها، ثم في التحركات التالية لهما فيها.

وقد أفاد الباحث منه في عدة مواضع منها دواعي تقدم شيركوه إلى مصر من أجل مساعدة شاور ضد ضرغام[١]، ولكنه لم يُشر إلى ما حدث بعد ذلك من تنكر شاور لوعوده إلى نورالدين أو تدخل عموري في مصر في أحداث تلك الحملة وإنما أبرز طمع شيركوه في مصر وتفكيره في العودة إليها، وبخاصة أن ابن شداد صاحب مقولة أن مصر "بلاد بغير رجال[٢]"، وهنا بنى ابن شداد أساس عودة شيركوه إليها مرة أخرى في حملة عام ١١٦٧م/٥٦٢هـ التي يسميها وقعة البابين وما حدث فيها، وإن أضاف إلى رغبة شيركوه سبباً آخر مفاده مراسلة شاور للفرنج واستدعائه لهم لتمكينهم من مصر، وبالرغم من ذلك لم ينجح لديه أي من شيركوه وعموري في تحقيق أية مكاسب في مصر في تلك الحملة، بل جل ما ذكره عقد الصلح بين شيركوه وعموري الذي يقتضي عدم تدخل عموري في مصر، ولذا فإنه حينما هاجم عموري مصر عام ١١٦٨م/٥٦٤هـ فقد اعتبر ابن شداد تصرفه نقضاً لعهده مع أسدالدين - وليس مع شاور - مما استدعى تدخل شيركوه للمرة الثالثة في شئون مصر - ومعه صلاح الدين على كره منه - بناء على خرق عموري للاتفاق وبسبب استصراخ شاور به للتصدي لعموري[٣].

وأشار ابن شداد إلى ما تلا ذلك من أحداث، منها خروج عموري يجر أذيال الهزيمة وتمكن شيركوه من مصر عام ١١٦٨م/٥٦٤هـ، وأبرز دور صلاح الدين في

---

(١) ابن شداد: النوادر، ص٢٣.

(٢) ابن شداد: النوادر، ص٢٣.

(٣) ابن شداد: النوادر، ص٢٤-٢٥.

قتل شاور؛ حرصاً منه على التخلص من ألاعيب شاور[١]، وأشار إلى اعتلاء شيركوه الوزارة ثم وفاته واعتلاء صلاح الدين للوزارة من بعده[٢]، وأوضح في إيجاز شديد - لا يكاد يفهم كلية - إلى غارات صلاح الدين على الكرك والشوبك، وعرض في إيجاز للحملة الصليبية البيزنطية على دمياط عام ١١٦٩م/ ٥٦٥هـ، وأوضح سبب توجهها إلى دمياط بالذات في تلك الظروف بعينها؛ خوفاً على المملكة من غلبة المسلمين في بلاد الشام عقب امتلاك نورالدين لمصر[٣]، وأوجز حديثه عن تحركات صلاح الدين ضد المملكة بداية من عام ١١٧٠م/٥٦٦هـ، علاوة على إيراده موجزاً صغيراً عن شكل علاقة صلاح الدين بنورالدين[٤].

ويؤخذ على ابن شداد عدم تعرضه لأحداث أخرى كثيرة منها إغفاله لحملة عموري الأولى على مصر عام ١١٦٣م/٥٥٨هـ، ودور نورالدين في حارم أو أحداث حصار عموري وشاور لشيركوه في بلبيس عام ١١٦٤م/ ٥٥٩هـ، وبالرغم من وضعه عنواناً – في كتابه - عن أحداث البابين عام ١١٦٧م/٥٦٢هـ فإنه لم يُشِر إلى معركة البابين تحديداً أو إلى الأحداث التي تلتها في الإسكندرية، بل على النقيض من ذلك ذكر موجزاً عن كثرة الحروب التي جعلت شيركوه يوافق على عقد الصلح لإراحة جيشه، ولم يُشِر أيضاً إلى إحراق شاور للقاهرة عام ١١٦٨م/٥٦٤هـ أو إلى ملابسات تقدم عموري صوب مصر عام ١١٦٨م/٥٦٤هـ.

ومن جهة أخرى أشار - في غموض - إلى حملات صلاح الدين ضد المملكة وبخاصة ضد حصني الشوبك والكرك، وهي إشارة لا تحمل سوى تاريخاً واحداً هو عام ١١٧٣م/٥٦٨هـ، وهذا لا يتفق مع ما أورده كلاً من وليم الصوري وابن الأثير بشأن حملات صلاح الدين ضد المملكة في تلك الفترة التي بدأت عام١١٧٠م/٥٦٥هـ وحتى عام ١١٧٣م/٥٦٨هـ، كما لم يُشر إلى محالفة مليح الأرمني لنورالدين ضد الصليبيين والبيزنطيين وإلى اتفاق نورالدين مع صلاح الدين على التوجه صوب

---

(١) ابن شداد: النوادر، ص٢٥-٢٦.

(٢) ابن شداد: النوادر، ص٢٦.

(٣) ابن شداد: النوادر، ص٢٧.

(٤) ابن شداد: النوادر، ص٢٧-٢٩.

الكرك لمهاجمته؛ تخفيفاً لضغط عموري على مليح عام ١١٧٣م/٥٦٨هـ، وبالرغم مما سبق فإنه يصعب التعرض لعصر عموري دون الاعتماد على ابن شداد الذي كان أول من كتب من المؤرخين المسلمين عن تلك الفترة.

ويأتي ابن الأثير بصفته واحداً من أهم المؤرخين المسلمين بالنسبة لموضوع الدراسة. وُلِدَ ابن الأثير الجزري في العام الذي توفي فيه ابن القلانسي[١]. ويُعرّف ابن الأثير بأنه علي بن محمد بن محمد بن عبد الواحد الشيباني، وُلد في جزيرة ابن عمر في ١١من مايو١١٦٠م/٤من جمادى الأولى ٥٥٥هـ، وتوفي في الموصل عام ١٢٣٥م/٦٣٠هـ، ونشأ بالجزيرة ثم انتقل إلى الموصل مع والده وإخوته وهناك تلقى جزءاً من تعليمه، ثم عمل رسولاً لصاحب الموصل في بغداد التي درس بها أيضاً، ثم ذهب إلى الشام وزار بيت القدس وعاد أخيراً إلى الموصل حيث عكف على التأليف حتى وفاته[٢].

---

(١) توفي ابن القلانسي عام ١١٦٠م/٥٥٥هـ، وقد شغل عدة مناصب مهمة لعل أهمها رئيس ديوان الإنشاء، واستكمل بكتابه الموسوم بذيل تاريخ دمشق كتاب الهلال الصابي عن تاريخ دمشق الذي انتهى فيه بأحداثه عام ١٠٥٦م/ ٤٤٨هـ. ولكتاب ابن القلانسي أهمية كبيرة؛ لأنه يكاد يكون أهم مصدر عربي معاصر عالج تاريخ بلاد الشام منذ الغزو السلجوقي له وحتى عام ١١٦٠م/٥٥٥هـ، ومن أهم ما تعرض لدراسة العلاقات بين المسلمين في بلاد الشام ومصر وبين المملكة الصليبية خصوصاً والإمارات الصليبية عموماً، وقد أمدّ ابن القلانسي الباحث بتفاصيل مهمة عن علاقة المملكة في عصر بلدوين الثالث بأسرة البوريين في دمشق وبنورالدين في حلب، وبخاصة الفترة التي توترت فيها علاقات بلدوين الثالث بأمراء دمشق من جراء توجيهه للحملة الثانية لمهاجمة دمشق ومحاولاته الأخرى للاستيلاء عليها، حتى استولى عليها نورالدين محمود مهدداً المملكة ومقيماً حالة من التوازن الذي كاد يختل عقب استيلاء بلدوين الثالث على عسقلان، أما عن أهميته لعصر عموري ذاته فإنها معدومة؛ لوفاته عام ٥٥٥هـ، أي قبل اعتلاء عموري لعرش المملكة عام ١١٦٣م/٥٥٨هـ.

(٢) ذاع صيت ابن الأثير بوصفه مؤرخاً ممتازاً، واكتسب مميزاته في التأليف من إفادته من مناهج المؤرخين السابقين عليه، ولم يقتصر ابن الأثير على الكتابة في التاريخ - في عدة نواح من التاريخ العام - مثل الكامل في التاريخ، وإنما ألّفَ في الأنساب اللباب في تهذيب الأنساب، ووضع في التراجم أُسد الغابة في معرفة الصحابة، وأرخ لتاريخ الدول في كتابه التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية. ويتسم كتاب الكامل في التاريخ بكونه تاريخاً عاماً للإسلام في بلاد الشام ومصر والجزيرة العربية واليمن والمغرب والأندلس وآسيا الصغرى وقيليقية والإمبراطورية البيزنطية، ويقع الكامل

وقد عبّر ابن الأثير برأيه الخاص عن خاتمة صراع الملك عموري على مصر مع نورالدين بمقولته المشهورة بأنه كان كالنعامة "التي ذهبت تطلب قرنين فعادت بلا أذنين[١]"، وكانت روايته غير المباشرة عن عصر عموري - من خلال كتابته عن نورالدين - من أهم ما أفاد الباحث في دراسة العديد من القضايا، من ذلك حديثه عن مقدمات حملة عموري الأولى على مصر عام ١١٦٣م/٥٥٨هـ وما سبقها من صراع شاور وضرغام على منصب الوزارة[٢]، وكذا روايته المسهبة عن أحداث حملة عموري الثانية على مصر، وقد ربط ابن الأثير بين حصار عموري لشيركوه في بلبيس وبين معركة حارم وتداعياتها عام ١١٦٤م/٥٥٩هـ[٣].

وعلاوة على ذلك فقد أفاد الباحث من رؤية ابن الأثير التحليلية بشأن ما حدث خلال حملة عموري الثالثة على مصر عام ١١٦٧م/٥٦٢هـ بما في ذلك أحداث معركة البابين، حيث أصبح تحديد ابن الأثير لعدد جيش شيركوه مصدراً مهماً لمن كتب عن هذا الموضوع فيما بعد[٤]، وقدم رواية على درجة كبيرة من الأهمية بخصوص أحداث حصار عموري للإسكندرية عام ١١٦٧م/٥٦٢هـ، وكان له رأي ثاقب في سياسة الملك عموري ومرونته تجاه فشل حملته الرابعة على مصر عام

في التاريخ في عدة أجزاء، وله طبعات عديدة، واتبع فيه ابن الأثير المنهج الحولي في تدوينه للأحداث؛ حيث يذكر أحداث سنة كذا، مفصلاً أحداثها هي وغيرها حسب رؤيته لها، وقد يذكر عدة حوادث مجملة بعد أن ينهي حديثه عن أحداث السنة دون تفصيل تحت عنوان "ذكر عدة حوادث". ويُعَدَّ ابن الأثير عمدة مؤرخي هذه الفترة، لأنه قدم رواية ناضجة ملمة بعوامل الظاهرة التاريخية وأسبابها ونتائجها في كل من تاريخيه - الكامل والباهر - وبخاصة أنه ضمن روايته في التاريخ الباهر المتعلقة بالفترة قيد البحث داخل الكامل، مما يعني أن التعرض للكامل يعني التعرض للباهر. عن حياة ابن الأثير وأهم أعماله ومؤلفاته انظر: السيد الباز العرينى: مؤرخو الحروب الصليبية، القاهرة، ص ٢٠٣؛ حسين عطية: إمارة أنطاكية الصليبية والمسلمون، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٩م، ص٧٥.

(١) ابن الأثير: الكامل، جـ٩، ص١٠٥، الباهر، ص١٤٣-١٤٤.

(٢) ابن الأثير: الكامل، جـ٩، ص٨١-٨٤.

(٣) ابن الأثير: الكامل، جـ٩، ص٩٤-٩٦، الباهر، ص١٣٢-١٣٤.

(٤) ابن الأثير: الكامل، جـ٩، ص٩٥.

١١٦٨م/٥٦٤هـ[١]، إذ وافق في تفسيره لموقف عموري إزاء العديد من الصعوبات التي واجهها ما قدمه وليم الصوري[٢]، ويضاف إلى ما سبق تقديمه رواية مهمة عن مهاجمة الحملة الصليبية البيزنطية لدمياط عام ١١٦٩م/٥٦٥هـ، وأبرز دور نورالدين في الوقوف إلى جانب صلاح الدين في التصدي للحملة سواء بمده بالإمدادات أم بالضغط على الصليبيين في بلاد الشام للتخلي عن الحصار[٣]، ثم عالج ابن الأثير حملات صلاح الدين على جنوب المملكة فيما بين ١١٧٠-١١٧٣م/٥٦٦-٥٦٩هـ، وأبرز ما واجه صلاح الدين من تآمر عموري ضده بمشاركة المتآمرين في مصر[٤].

ولكن يؤخذ على ابن الأثير - فيما يخص الفترة قيد البحث - تعصبه الشديد لنورالدين وأسرته، ولم يكن ليكون لذلك أثر ملموس لو أن صلاح الدين لم يكن له دور في الأحداث، بيد أن رؤية ابن الأثير التي كُتبت بعد فترة من حدوث التوتر الذي نشأ بين صلاح الدين ونورالدين تلك التي أدت إلى حديث ابن الأثير عن حدوث جفوة أو خلاف بين كل من نورالدين وصلاح الدين، ترتب عليها عزم نورالدين على ضرورة التحرك صوب مصر لإخراج صلاح الدين منها، ثم وفاة نورالدين وما ترتب عليها بعد ذلك من انحسار النفوذ الزنكي تدريجياً حتى كاد يتلاشى، كل ذلك جعل ابن الأثير متأثراً بما حدث بين نورالدين وصلاح الدين، وكأن الأخير كان عدواً لنورالدين في أواخر أيامه، وأنه كان يعد عدته للاستقلال بمصر عن نورالدين، وحينما داهم نورالدين الأجل جعل ابن الأثير من صلاح الدين الرجل الذي طمع في ملك أسياده ولم يراع لهم جميلهم عليه، ولذا فقد تعامل الباحث مع رواية ابن الأثير في هذه الإشكالية بحذر في ظل تحيزه الشديد إلى الدولة الأتابكية التي كان يمثلها آنذاك نورالدين محمود وابنه الملك الصالح إسماعيل من بعده[٥].

---

(١) ابن الأثير: الكامل، جـ٩، ص٩٥-٩٦.

(٢) قارن رواية: ابن الأثير: الكامل، جـ٩، ص١٠٥، الباهر، ص١٤٣-١٤٤ برواية: وليم الصوري: الحروب الصليبية، جـ٤، ص١٠٨-١١٠.

(٣) ابن الأثير: الكامل، جـ٩، ص١٠٥، الباهر، ص١٤٣-١٤٤.

(٤) ابن الأثير: الكامل، جـ٩، ص١١-١١٣، ١٢١-١٢٣، ١٢٩.

(٥) ابن الأثير: الكامل، جـ٩، ص١١١، ١١٣، ١٢٣-١٢٤.

واعتمد الباحث على كتاب الروضتين في أخبار الدولتين لأبي شامة المقدسي[١] وقد جعل أبو شامة من ذيل ابن القلانسي والبرق الشامي للعماد الأصفهاني أهم مصادره، ومن هنا تبرز أهمية كتابه في ظل ضياع أغلب أجزاء البرق الشامي. ولم يكن البرق الشامي من الكتب الوحيدة المفقودة التي اعتمد عليها أبو شامة وإنما اعتمد على كتاب آخر مفقود في غاية الأهمية هو كتاب ابن أبي طي الحلبي الشيعي الموسوم بتاريخ حلب أو السيرة الحلبية[٢]. ويُعد أبو شامة وابن الفرات من أهم المؤرخين الذين أخذوا عن مؤلف ابن أبي طيّ وهي الأهمية التالية لكتاب أبي شامة، وقد تنبه الأخير إلى تحامل ابن أبي طي على نورالدين وبخاصة علمه بقيام نورالدين بالقضاء على أنصار المذهب الشيعي في حلب وتتبعه لوالد ابن أبي طي حتى نفاه عنها، ودعا أبو شامة في هذه المناسبة إلى تحري الدقة فيما نقله عن ابن أبي طي وخصوصاً ما كتبه الأخير عن نورالدين[٣].

وهكذا فإن الأهمية التي يُعوّل عليها الباحث من استعانته بأبي شامة ليس

---

(١) أبو شامة: الروضتين في أخبار الدولتين، تحقيق: محمد حلمي أحمد، جزئين، مراجعة محمد مصطفي زيادة، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٨م.

وُلد أبو شامة ليلة الجمعة ٦ من يناير ١٢٠٦م/٢٣ من ربيع الآخر ٥٩٩هـ، وحينما كبر حرص على طلب العلم فسمع الحديث وتفقه على الفخر بن عساكر وابن عبد السلام والسيف الآمدي والشيخ موفق الدين بن قدامة، وكان ذا فنون كثيرة، وبالجملة لم يماثله أحد في زمانه في =ديانته وعفته وأمانته. لمزيد من التفاصيل انظر: عباس العزاوي: التعريف بالمؤرخين في عهد المغول والتركمان، بغداد، ١٩٥٧، ص٨٤ ـ ٨٥؛ حسين عطية : إمارة أنطاكية، ص ٨٤.

(٢)- يُشير المقريزي إلى كتاب ابن أبي طي بأنه يحمل عنوان تاريخ حلب. انظر: المقريزي: اتعاظ الحنفا، جـ٣، ص٣٤٦.

ويعد ابن أبي طي أحد مؤرخي حلب (١١٦٠-١٢٣٥م)، وكان معاصراً لابن الأثير ولكنه كان شيعياً هو وأبوه، ولذا فربما كان ذلك سبباً في حقيقة اختفاء نص كتابه الأصلي، وتشير المقتطفات الباقية من كتابه في ثنايا المؤلفات الأخرى التي أخذت عنه إلى أصالة كتابه وإلى اهتمامه بالتفاصيل الاجتماعية، بيد أنه عُرف بتحامله الشديد على نورالدين الذي نفى أباه من حلب، ويمكن العثور على بعض أجزاء تاريخه لدى أبو شامة والمقريزي وابن الفرات. لمزيد من الايضاح انظر:

Gibb, The Arabic source, p.58; Cahen, Syrie du Nord, pp.85-86.

(٣) أبو شامة: الروضتين، جـ١، ق٢، ص٤٤٠-٤٤٢.

لاعتماده على مصدرين مفقودين يُعدّان من أهم مصادر دراسة الفترة قيد البحث فحسب وإنما لتدخل أبو شامة في المجرى العام لسياق رواياته، بحيث يحلل مصادره وينتقد مؤرخيه الذين نقل عنهم - وهي مهمة ليست باليسيرة - وأفادت الباحث في أكثر من موضع. ومما تميز به منهج أبو شامة - أيضاً - أنه يُصدّر مصادره التي ينقل عنها، وحينما يعمد إلى إيراد رأي خاص له أو تعليق معين فإنه يحدد ذلك بادئاً فكرته بلفظ قلت.. [1]، وتنوعت مصادره بحيث يمكن إجمال أهمها في ابن القلانسي وابن الأثير والأصفهاني وابن شداد وابن أبي طي الحلبي وغيرهم[2]، ولذا فإن الباحث سيحرص على الإشارة إلى المواضع التي استفاد منها من أبو شامة فيما نقله عن المؤلفات التي ضاعت كلية.

ومما أفاد الباحث من مطالعة أبو شامة ذكره تردد نورالدين في مساندة شاور حتى يوفر لنفسه ما يكفي من حاجته للجنود في بلاد الشام، وإشارته إلى رسول ضرغام إلى نورالدين الذي طلب منه القبض على شاور لأنه خارج عن طاعته[3]، وأسهب في عرض تفاصيل حملة شيركوه الأولى على مصر التي كانت الحملة الثانية للملك عموري، فأشار إلى خط سير شيركوه وأحداث مواجهته لضرغام وهزيمته له، وقدم صورة وافية عن كيفية استدعاء شاور للملك عموري[4]، وقدم أبو شامة دوراً مهماً لشاور في أحداث حصار بلبيس، أوقف الباحث على حرص عموري وشيركوه على عدم الإخلال بمبدأ التوازن الذي أمسك شاور بعنانه، بحيث لم يُتِح الفرصة لأحدهما بالقضاء على الآخر حتى لا يتعرض موقفه هو للخلل، ومن جهة أخرى أشار أبو شامة إلى إرسال نورالدين لرؤوس القتلى في حارم إلى شيركوه في بلبيس، مما أوهن من عزيمة عموري بعد أن رآها معلقة على أسوار بلبيس - التي يقيم على

---

(1) راجع كمثال على ذلك: أبو شامة: الروضتين، جـ١، ق٢، ص٤٣٧-٤٤٣، ٤٦٥-٤٦٦، ٥٢٤-٥٢٦.

(2) نقل أبو شامة عن ابن الأثير والأصفهاني وابن أبي طي الحلبي وغيرهم فيما يخص الفترة قيد الدراسة. انظر: أبو شامة: الروضتين، جـ١، ق٢، ص٤٣٧-٤٤٣، ٤٦٥-٤٦٦، ٥٢٤-٥٢٦.

(3) أبو شامة: الروضتين، جـ١، ق٢، ص٤١٨-٤١٩، ٥٠١.

(4) أبو شامة: الروضتين، جـ١، ق٢، ص٤٢١.

حصارها - وقد فند الباحث هذه الرواية وأثبت عدم دقتها[١].

وأورد أبو شامة نص رسالة شيركوه إلى شاور - قبيل الاشتباك في معركة البابين - يحثه فيها على التعاون معه للقضاء على عموري[٢]، كما أشار إلى حرص شاور على مراسلة نورالدين لصرف شيركوه عن التعرض لمصر بعد أحداث البابين والإسكندرية، وكذا أشار إلى شدة وطأة البيزنطيين في محاربة المسلمين في معركة حارم ١١٦٤م/٥٥٩هـ، وأشار أيضاً إلى موافقة البارونات على خطة عموري في مهاجمة مصر عام ١١٦٨م/٥٦٤هـ[٣] وإلى دور حامية الفرنج في القاهرة في حثّ عموري على الإسراع إلى مهاجمتها، وإلى تقسيم الملك عموري لقرى مصر وإقطاعاتها بين بارونات وقادته، وإلى الامتيازات التي وزعها الملك على حلفائه من البيازنة والإسبتارية لمشاركته في تلك الحملة، وإلى مساومة شاور للملك عموري خلال تقدمه بالحملة في مصر وما إلى ذلك من التصرفات التي أدت إلى فشل الحملة[٤].

وأكد أبو شامة حرص شاور على القضاء على شيركوه بعد رحيل عموري، وإلى تنبه شيركوه إلى ذلك وردة فعله في ضرورة التخلص من شاور قبل استدعائه للملك عموري مرة أخرى[٥]، كما أبرز تعاون كل من نورالدين وصلاح الدين في التصدي لمهاجمة الصليبيين والبيزنطيين لدمياط عام ١١٦٩م/٥٦٥هـ[٦]، ونوه بحذر إلى قضية خلاف نورالدين مع صلاح الدين في الفترة التي أعقبت رحيل الحملة عن دمياط، حيث أورد رأي كل من ابن الأثير وابن أبي طي ودلل على انحياز أحدهما لنورالدين وإلى تحامل الثاني عليه، وانتقد رواية ابن أبي طي بناء على الدوافع الخاصة لديه تجاه نورالدين، وقدم رأيه مستنداً إلى رأي ابن شداد والأصفهاني في أن

---

(١) أبو شامة: الروضتين، جـ١، ق٢، ص٤٢٢-٤٢٣.
(٢) أبو شامة: الروضتين، جـ١، ق٢، ص٤٢٥.
(٣) أبو شامة: الروضتين، جـ١، ق٢، ص٣٣٩-٣٦٠، ٤٢١-٤٢٢.
(٤) أبو شامة: الروضتين، جـ١، ق٢، ص٤٢٩-٤٣١.
(٥) أبو شامة: الروضتين، جـ١، ق٢، ص٤٣٥-٤٣٦.
(٦) أبو شامة: الروضتين، جـ١، ق٢، ص٤٥٦-٤٥٩.

ما حدث لم يكن أكثر من سوء فهم[١]، وزيادة على ذلك فإنه أسهب في سرد تفاصيل مؤامرة عمارة اليمني ومراسلته للملك عموري والحشاشين، حينما أورد نص الخطاب الذي بعثه صلاح الدين إلى نورالدين الذي وصف له فيه خطة المؤامرة وأهداف المتآمرين، ثم أورد خطاباً آخر لصلاح الدين بعث به إلى أحد أمراء بلاد الشام، وصف فيه مهاجمة الأسطول الصقلي للإسكندرية وكيفية تصديه له[٢].

ولكن شاب أسلوب عرض أبي شامة لبعض الأحداث عدة انتقادات، منها انسياقه أحياناً خلف أحد مصادره حتى ينتهي منه تماماً في تعرضه لعدة أحداث متشابكة حتى يظن الباحث أنه عالجها من كافة الزوايا، ليجد نفسه بعد قليل وقد انتقل مع أبي شامة إلى مصادر أخرى تبدأ معالجتها للحدث الذي انتهى منه لتوه بما يسبب بعض الملل، بمعنى أنه لم يلجأ إلى دمج روايات الحادثة الواحدة أحياناً خلال معالجته للأحداث.

ويُعدّ سنا البرق الشامي الذي اختصره البنداري عن البرق الشامي للعماد الكاتب الأصفهاني[٣] واحداً من المؤلفات التاريخية المهمة التي تشتمل على تفاصيل

---

(١) أبو شامة: الروضتين، جـ١، ق٢، ص٤٣٧-٤٤٦.

(٢) أبو شامة: الروضتين، جـ١، ق٢، ص٥٦٣-٥٦٥، ٥٥٨-٦٠٠.

(٣) العماد الكاتب الأصفهاني هو أبو عبد الله محمد بن صفي الدين أبي الفرج محمد بن نفيس الدين أبي الرجا حامد بن محمد بن عبد الله بن على بن محمود بن هبة الله المعروف بأبي أخي العزيز والملقب عماد الدين الكاتب الأصفهاني(١١٢٥-١٢٠٠م) فقيهاً شافعي المذهب، تفقه بالمدرسة النظامية وقتاً طويلاً، وأتقن الخلاف وفنون الأدب، وله شعر ورسائل كثيرة، وتفقه على شيوخ بغداد ودرس الحديث، ثم عمل مع الوزير ابن هبيرة فولاه نظر البصرة ثم واسط، ثم انتقل إلى خدمة نورالدين عام ١١٦٧م/٥٦٢هـ، وحينما مات نورالدين، رحل إلى العراق، ثم عاد إلى الشام في عصر صلاح الدين وعمل في خدمته؛ إذ كان صاحب السر المكتوم[٣].ويعد الأصفهاني الكاتب الثاني الأكثر أهمية الذي انتفع منه أبو شامة في النقل عنه هو وغيره في الروضتين، وقد صنّفَ الأصفهاني كتاباً مهماً عن أهم تحركات صلاح الدين في مصر والشام، مما يعني أهميته في دراسة عصر عموري، ويحمل هذا المؤلف اسم"البرق الشامي"، في سبع مجلدات بدأ فيه الأصفهاني التعريف بنفسه وكيفية تنقله من العراق إلى الشام، وما تعرض له من حوادث خلال خدمته لنورالدين محمود، ثم خدمته بعدئذ لصلاح الدين وتعلقه به، ثم تعرض فيه لفتوحات صلاح الدين في بلاد الشام، ويُعلّق ابن خلكان على سبب تسمية الأصفهاني للكتاب بهذا الاسم "لأنه شبّه أوقاته في تلك الأيام بالبرق الخاطف لطيبها وسرعة انقضائها".

قيمة عن فترة حكم الملك عموري الأول؛ لأنها تعالج عصر صلاح الدين الأيوبي، الوجه المصري لسياسة عموري، أما البرق الشامي فهو كتاب العماد الأصفهاني - سكرتير صلاح الدين - وقد قام على اختصار البرق الشامي أحد مؤرخي القرن الثالث عشر هو الفتح بن على البنداري أحد رجال بلاط الملك المعظم عيسى حاكم دمشق. ويُقدّم البرق الشامي الأصل تاريخاً سياسياً لعصر صلاح الدين في سبع مجلدات[1]. أما سنا البرق فيتكون من ستة أجزاء، وتأتي أهميته من حقيقة ضياع معظم أصل البرق الشامي مما يجعل من سنا البرق مكملاً وبديلاً لهذا العمل المهم.

ومما دعا البنداري إلى اختصار البرق الشامي ما يكتنف أسلوب العماد من صعوبة تطويله وإسهابه، وقد نوه البنداري إلى التزامه بالأمانة في اختصار الكتاب

ويتميز أسلوب العماد بأنه يستخدم اللغة الفصحى ويغلب عليه الأسلوب النثري البلاغي، المعقد في تركيباته اللغوية، مما غلب على مجالس الممالك الإسلامية في العصور الوسطى، ولم ينافس العماد في تلك الصنعة في عصره سوى القاضي الفاضل الذي كان رئيساً للعماد ووزيراً لخارجية صلاح الدين، ويبدو أن معظم أجزاء البرق ضائعة، تلك التي اقتبس أبو شامة بعضها، على حين لخصه البنداري كاملاً. وللأصفهاني عدة مؤلفات أخرى منها "خريدة القصر وجريدة العصر" ذكر فيه العماد الشعراء الذين عاشوا بعد المائة الخامسة إلى عام ١١٧٧م/٥٧٢هـ، وجمع شعراء العراق والعجم والشام والجزيرة ومصر والمغرب وهو في عشرة مجلدات.ومما صنفه العماد أيضاً كتاب الفتح القسي في الفتح القدسي في مجلدين، يصف كيفية فتح صلاح الدين لبيت المقدس، وكذا كتاب السيل على الذيل، وكتاب نصرة الفترة وعصرة الفطرة في أخبار الدولة السلجوقية، وديوان شعر في أربع مجلدات وديوان آخر صغير. انظر في ذلك:

ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ٥، ص١٤٩-١٥٠. انظر أيضاً:

Cahen, C., "Some new editions of Oriental sources about Syria in the time of the Crusades", (eds.) B.Z. Kedar, H. Mayer, and R,C. Smail (eds.), Outremer: Studies in the History of the Crusading Kingdom of Jerusalem presented to Joshua Prawer, (Jerusalem, 1983), pp.322-324;Gibb, The Arabic source, pp.58-59.

(1) ضاعت معظم أجزاء البرق الشامي عدا المجلدين الثالث والخامس وهما في مكتبة البودليان في أكسفورد تحت رقم:

MSS Bruce 11 vol, 3. ورقم Marsh, 425, vol.5

وإلى التزامه بخطة واضحة طوال النص[١]، ذلك أنه يُشير إلى صعوبة أسلوب الأصفهاني المغمور في السجع المتكرر الذي شَوّهَ من الصورة التي يُقدّمها للأحداث مما دعا البنداري إلى استخلاص المعنى المقصود في كلمات موجزة "ولم أحم من الكتب المنشأة في الوقائع المذكورة إلا حول جهة من الكلم الجليلة الفاضلية ونبذ من الكتب البديعة العمادية سالكاً مسلك الاختصار[٢]".

ويبدو اختصار البنداري للبرق قوياً في بداية تعرضه للحديث عن حملات عموري على مصر، فلم يُشِر إلى الحملة الأولى للملك عموري عليها أو إلى تفاصيل حملاته التالية - الثانية والثالثة – ولكنه أوجز حديثه عن حصار عموري لبلبيس عام ١١٦٤م/٥٥٩هـ[٣]، وعن أحداث استيلاء نورالدين على حارم وبانياس في العام عينه[٤]، وكذا الحال في معالجته لحملة عموري الثالثة عام ١١٦٧م/٥٦٢هـ بما تضمن معركة البابين وحصار الإسكندرية[٥]، ثم تخلى البنداري عن شدة الاختصار كلما تعمق في الأحداث، بحيث يُقدّم بداية من حملة عموري الرابعة عام ١١٦٨م/٥٦٤هـ رواية قيمة عن ملابسات الحملة ومقدماتها وتحركاتها والمذبحة التي أحدثها عموري في بلبيس، كما أشار إلى حريق القاهرة وربط ذلك بسرعة استعادة المدينة لنشاطها بعد فترة قصيرة من الحريق، ثم أشار إلى حصار عموري للقاهرة في العام نفسه وإزعاجه لشاور بآلات حصاره[٦].

وأسهب البنداري في عرضه لمماطلة شاور خلال مفاوضاته مع عموري حتى خرج الأخير من مصر دون أن يحصل من شاور على ما يستحق الذكر[٧]، وسرعان

---

(١) راجع في ذلك: البنداري: سنا البرق الشامي، تحقيق: فتحية النبراوي، القاهرة، ١٩٧٩م، جـ١، ص٨-٩.

(٢) البنداري: سنا البرق الشامي، ص١٢. وانظر أيضاً:

Cahen, Some new edition, p.323.

(٣) البنداري: سنا البرق، ص١٩.

(٤) البنداري: سنا البرق، ص٢٥.

(٥) البنداري: سنا البرق، ص٢٠-٢٢.

(٦) البنداري: سنا البرق، ص٣٩-٤٠.

(٧) البنداري: سنا البرق، ص٤٠.

ما تنضح رواية البنداري من خلال معالجته لأحداث هجوم الصليبيين والبيزنطيين على دمياط عام ١١٦٩م/٥٦٥هـ؛ إذ خالف البنداري غيره في حديثه عن شدة مهاجمة دمياط براً وبحراً، علماً بأن المدينة لم تحاصر بحراً على الإطلاق، كما أطنب في وصف العمليات الحربية التي دارت حول دمياط وبخاصة دور صلاح الدين في تزويد المدينة بحاجتها من المال والرجال والسلاح، كما حدد مدة بقاء الحملة على دمياط وتاريخ رحيلها عنها[١]، ثم استطرد في معالجة العمليات الحربية التي قام بها صلاح الدين ضد الداروم وغزه واستيلائه على أيلة ثم مهاجمته لحصني الشوبك والكرك خلال عامي١١٧٠-١١٧٣م/٥٦٦-٥٦٨هـ[٢]، ويتمثل النضج الحقيقي لرواية البنداري في حديثه عن مهاجمة الأسطول الصقلي للإسكندرية؛ إذ ذكر الأحداث مقرونة بوقت حدوثها بتفاصيل دقيقة[٣].

ويصعب هنا التنويه عن المواضع التي أغفل فيها البنداري بعض الأحداث أو عدم استطراده أو إيجازه في بعضها الآخر، خصوصاً أن النص الأصلي الذي قام البنداري باختصاره ما زال مفقوداً، علاوة على أن البنداري كان يقوم باختصار معنى محدد فحسب ولذا فإنه لا يُلام على تقديمه رواية موجزة أو مسهبة، وقد سد وجود سنا البرق الشامي الفراغ الكبير الذي نجم عن فقدان أغلب النص الأصلي للبرق الشامي.

أما ابن الفرات فتأتي أهمية تاريخه من حقيقة اعتماده على تاريخ ابن أبي طي الحلبي المفقود، وقد ولد ابن الفرات عام ١٣٣٢م/ ٧٣٥هـ، وينتسب إلى عائلة مرموقة اهتمت بالعلم وفنون الأدب، مكنته من دراسة الحديث والفقه على رجال عصره[٤].

---

(١) البنداري: سنا البرق، ص٤٥.

(٢) البنداري: سنا البرق، ص٥٧.

(٣) البنداري: سنا البرق، ص٢٩-٣٢.

(٤) اهتم ابن الفرات بدراسة التاريخ وجمعه منذ حداثته، ومما كتبه في هذا المجال كتابه الموسوم بتاريخ الدول والملوك في تسع مجلدات ضخمة، أرّخ فيها لثلاثة قرون انتهت بوفاته عام ١٤٠٥م/٨٠٧هـ. ويتسم أسلوب ابن الفرات بتأخره عن ركب العماد الأصفهاني والقاضي الفاضل في أساليبهم الأدبية؛ إذ كان أكبر همه أن يجمع الروايات والمعلومات وأقوال المؤرخين؛ لإثبات صحة ذاك أو نقض هذا وربما التعليق عليها أحياناً، ولم تشغل الكتابة وأساليبها باله ولم يلتزم

ومما أفاد منه الباحث من خلال مطالعته لتاريخ ابن الفرات ما أشار إليه عن معركة حارم عام ١١٦٤م/٥٥٩هـ، خصوصاً موقف نورالدين من أنطاكية عقب هزيمته للصليبيين والبيزنطيين، كما أشار إلى توجه نورالدين للاستيلاء على بانياس[١]، وأوضح أيضاً مراسلة حامية الفرنجة في القاهرة للملك عموري لاغتنام فرصة خلو مصر ممن يدافع عنها والقدوم لامتلاكها، وذكر العوامل الأخرى التي أدت إلى تحرك عموري إلى مصر في حملة عام ١١٦٨م/٥٦٤هـ[٢]، وأشار مثل غيره إلى مساومة شاور للملك عموري حول إنقاص المبلغ المالي الذي تعهد شاور بدفعه له بحيث انخفض من ألفي ألف دينار إلى ما لا يتجاوز مائة ألف دينار[٣]، وأفصح عن محاولة شاور إغراء شيركوه بتتبع عموري والقضاء عليه قبيل خروجه من مصر وإلى تفهم شيركوه لمغزى تحريض شاور له على ذلك، مفوتاً الفرصة عليه[٤]، وما إلى ذلك من إشارات ابن الفرات المتفرقة التي خدمت الباحث في دراسته بشكل أو بآخر.

وقد أفاد الباحث أيما إفادة من مؤلفات المقريزي، ويُعد المقريزي من ألمع مؤرخي عصره بحيث لم يترك فرعاً من فروع التاريخ إلا ودون فيه، وقد برع إلى حد كبير في مؤلفاته العديدة عن تاريخ مصر وكوارثها وخططها وجغرافيتها[٥].

بالأساليب والقواعد اللغوية والنحوية، ولذا فقد جاءت عباراته ركيكة البناء ومفتقرة إلى الرقة والسلاسة.

واعتاد ابن الفرات الإطالة والإعادة، إذ إنه يذكر حادثة ما ثم يحشد لها كافة الروايات المتعلقة بها بحيث يُعيد ذكر الحادثة بأكملها ربما بالنص والعبارة ذاتهما، بما ينم عن حرصه على وقوف قارئه على جميع وجهات النظر والآراء، ولم يقتصر الأمر على ذلك وإنما تدخل أحياناً لإيضاح الأمور الغامضة، وبدا حماس ابن الفرات الديني في سبّه لأمراء الفرنج وملوكهم ولعنه لهم على مدار تاريخه. راجع: ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات، تحرير ونشر حسن محمد الشماع، مطبعة حداد، البصرة، ١٩٦٧م/١٣٨٦هـ، جـ١، م ٤، مقدمة المحقق، ك-ع.

(١) ابن الفرات: تاريخه، جـ١، م٤، ص١٣-١٤.

(٢) ابن الفرات: تاريخه، جـ١، م٤، ص١٩.

(٣) ابن الفرات: تاريخه، جـ١، م٤، ص٢٨.

(٤) ابن الفرات: تاريخه، جـ١، م٤، ص٢٨.

(٥) وُلد تقي الدين أبو محمد أحمد بن على بن عبد القادر بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن تميم بن

ويتصدر مؤلفات المقريزي عن مصر كتاب اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا الذي ينتهي في أحداثه بوفاة الخليفة العاضد الفاطمي عام ١١٧١م/٥٦٧هـ[1].

والواقع أن الباحث أفاد من التفاصيل الجمة التي قدمها المقريزي وبصفة خاصة أحداث صراع شاور وضرغام وتدخل كل من عموري ونورالدين في ثناياه، بحيث يكاد يكون المقريزي من أكثر المؤرخين المسلمين الذين قدموا تفاصيل على جانب

عبد الصمد بن أبي الحسن بن عبد الصمد بن تميم المقريزي الشافعي في حارة برجوان - قسم الجمالية الحالي - عام ٧٦٦هـ، ونشأ في كنف أسرة عُرِفت أصولها بالمشاركة في تحصيل العلم وبثه، وعليه فإن المقريزي نشأ نشأة حسنة؛ إذ حفظ القرآن الكريم وبعض المختصرات في الفقه الحنفي ثم تتلمذ في الفقه والحديث والقراءات واللغة والنحو والأدب والتاريخ وغير ذلك من فنون المعرفة المتداولة في عصره على يد نخبة من أعلام العلماء.

وقد أسُند إلى المقريزي عدة وظائف متنوعة كان بعضها في مصر وبعضها الآخر في بلاد الشام، ورشحت له بعض الوظائف التي لم يقبلها؛ لأنه آثر العكوف في بيته منصرفاً إلى العبادة والتأليف، وجد فيها السلوى عما افتقده من الهزات الاقتصادية والأوبئة والطواعين التي أفقدته آخر بناته وكان هو ذاته فريسة لمرض طويل أفضى به إلى الموت في ٦ من فبراير١٤٤٢م/٢٦ من رمضان ٨٤٥هـ تاركاً وراءه تراثاً علمياً ضخماً. انظر =في ذلك: محمد كمال الدين عز الدين: أربعة مؤرخين وأربعة مؤلفات من دولة المماليك الجراكسة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٢، ص١٥٧-١٧٩.

(1) أرّخَ المقريزي في كتابه اتعاظ الحنفا للدولة الفاطمية منذ قيامها في المغرب العربي وحتى سقوطها في مصر وذلك بترجمته لخلفائها، وحرص على الإشارة من خلال ترجمته لهم إلى الأحداث الواقعة في مدة خلافتهم، وعليه فإن المقريزي انتظمها في عدة حوليات متتالية مقدماً ترجمة الخلفاء بالحديث عن أولاد "على بن أبي طالب" وأعقابهم، مع تحقيقه لنسب الخلفاء الفاطميين وتعريفه بنشأة دولتهم في المغرب العربي، ومذيلاً عليها بالتعريف برسوم دولتهم في مصر وما عابه الفقهاء والمؤرخون عليهم، فضلاً عما صار إليه أمر أهليهم وذويهم بعد سقوط دولتهم في مصر.

ويشير المقريزي إلى اعتماده على تاريخ حلب لابن أبي طي، ولم ينس أن يحذر قارئه من الانسياق خلف ما كتبه مؤرخو المشرق الإسلامي عن الفاطميين؛ لأنهم أخرجوهم عن الدين والملة، إذ لم يتحدث عن ذلك الأمر سوى المشارقة أمثال ابن أبي طي وابن الأثير والعماد الأصفهاني وابن كثير وابن واصل الحموي وابن شداد والأصفهاني، بخلاف ما يمكن أن يجده الباحث من مؤلفات المصريين، وفي النهاية يدعو المقريزي إلى تحكيم العقل والحكم على الأحداث بموضوعيه *"فَحكّم العقل واهْزم جيوش الهوى وأعط كل ذي حق حقه، ترشد إن شاء الله"*.انظر في ذلك: المقريزي: اتعاظ الحنفا، جـ٣، ص٣٤٦. وكذلك: محمد كمال الدين: أربعة مؤرخين، ص١٧٦-١٧٨.

كبير من الأهمية في أحداث صراع الوزراء.

ومما قدمه المقريزي - فيما يخص الدراسة - مقدمات صراع شاور وضرغام، بما ذكره عن صراع الوزراء فيما سبق عصر كل من شاور وضرغام، كما قدم رواية قيمة عن حملة الملك عموري الأولى على مصر عام ١١٦٣م/٥٥٨هـ، وقد جاءت رواية المقريزي في هذا الصدد متوافقة مع ما ذكرته المصادر اللاتينية بما في ذلك وليم الصوري وخطابات الملك عموري إلى الملك الفرنسي لويس السابع[١]، كما أفاد الباحث مما قدمه المقريزي عن أحداث محاربة شاور وشيركوه لضرغام، ثم أحداث انقلاب شاور على شيركوه بعد القضاء على ضرغام واستغاثته بالملك عموري للتصدي معه لجيش شيركوه[٢]. وقد خدمت التواريخ التي قدمها في تحديد تواريخ عدة أحداث مهمة وفي نقد روايات أخرى، أو جذبها للباحث إلى مناقشة العديد من القضايا المهمة الأخرى، وإضافة إلى ذلك فقد كانت رواية المقريزي مهمة في عدة مواضع أخرى مثل روايته عن أحداث معركة البابين وحصار الإسكندرية عام ١١٦٧م/٥٦٢هـ[٣] وأحداث مهاجمة عموري لمصر عام ١١٦٨م/٥٦٤هـ التي قوض بها تحالفه مع شاور[٤]، وكذا تفاصيل جمة عن أحداث إنهاء الخلافة الفاطمية عام ١١٧١م/٥٦٧هـ التي اختتم بها كتابه[٥]. ويتميز أسلوب المقريزي بالنضج التاريخي، بحيث عرض أحداثه في أسلوب يتسم بالسلاسة والتشويق، وقد خدم كتابه في فهم الجانب المصري من سياسة الملك عموري الخارجية حتى عام ١١٧١م/٥٦٧هـ.

---

(١) قارن رواية االمقريزي برواية وليم الصوري وبخطابات عموري إلى لويس السابع. انظر: المقريزي: اتعاظ الحنفا، جـ٣، ص٢٦٢-٢٦٤؛ وليم الصوري: الحروب الصليبية، جـ٤، ص٢٥-٢٦.وكذلك:

Amalrici, Hierosolymorum Regis, ad Ludovicum, in RHGF, t. XVI, pp.36-37; Amalrici, Regis Hierosolymorum, ad Ludovicum, in RHGF, t. XVI, pp.37-38; Amalrici, Regis Hierusalem, ad Ludovicum, in RHGF, t. XVI, pp.59-60

(٢) المقريزي: اتعاظ الحنفا، جـ٣، ص٢٦٤-٢٧٧.

(٣) المقريزي: اتعاظ الحنفا، جـ٣، ص٢٧٧-٢٨٨.

(٤) المقريزي: اتعاظ الحنفا، جـ٣، ص٢٩١-٣٠٠.

(٥) المقريزي: اتعاظ الحنفا، جـ٣، ص٣٠٠-٣١٣.

ومما اعتمد عليه الباحث أيضاً كتاب النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة *لابن تغري بردي*[1]. وقد انتهج ابن تغري بردي في عرضه لمادته منهج الحوليات الشائعة في عصره، بترتيب الأحداث في إطار زمني وفقاً لعهود الحكام مع الالتزام بالنظام الحولي، وقد حرص على التعليق في بعض الأحيان على روايات السابقين عليه، ولكنه لم يهتم أحياناً بتحقيق الحادثة التي يرويها إذا ما اختلفت مصادره حولها

([1]) وُلِدَ جمال الدين أبو المحاسن يوسف المعروف بابن تغري بردي في القاهرة في حي الأمراء على مقربة من القلعة في أواخر عام ٨١٢هـ/١٤٠٨م، وتوفي عام ٨٧٤هـ/١٤٦٩م، وكان أبوه مملوكاً رومي الأصل، اشتراه الملك الظاهر وأعتقه وقربه إليه لذكائه، ورفعه تباعاً إلى أرقى المناصب حتى صار أتابكاً للعساكر - أي أميراً للسلاح آنذاك - وهى وظيفة من أرفع مناصب الجيش، ثم اختاره الظاهر برقوق مع من اختارهم لوصاية المملكة بعد وفاته، وقد توفي تغري بردي وترك ابنه طفلاً فرباه زوج أخته قاضى القضاة ناصر الدين بن محمد العديم، فلما تُوفي الأخير عام ٨١٥هـ تولى تربيته زوج أخته الثاني قاضى القضاة جلال الدين البلقيني، وقد حفظ أبو المحاسن القرآن في صغره ودرس الفقه والكلام والنحو والبيان على يد بعض أعلام عصره، منهم ابن حجر العسقلاني، وبدر الدين العيني، وشهاب الدين بن عربشاه مؤرخ تيمورلنك.

وكان انتماء ابن بردي الطبقي يضعه بين تلك الفئة التي عرفت باسم "أولاد الناس" في مصطلح عصر سلاطين المماليك، وهي فئة أبناء الأمراء التي لم يمسها الرق، وغالباً ما انصرف أبناء هذه الطبقة عن الحياة العسكرية والسياسية التي يعيشها آباؤهم إلى حياة الدعة والسلم، كما انصرف بعضهم إلى المجال الثقافي الذي خرّج بعض المؤرخين، وقد تمكن ابن تغري بردي من الجمع بين ثقافة أبناء الطبقة الوسطى في عصره وبين نمط الحياة الذي عاشه أولاد الناس في مهارته في الألعاب والرياضات مثل الفروسية ورمي الكرة والرمح والنشاب وغيرها، ومكنته الثروة التي تركها أبوه من اقتناء مكتبة ضخمة يسرت له سبل الانصراف إلى البحث والدراسة.

ولقد ألف أبو المحاسن بن تغري بردي عدة مؤلفات لعل من أهمها وأشهرها كتاب المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، فضلاً عن كتابه المهم الذي تناول فيه تاريخ مصر ونيلها والموسوم بالنجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. ويعالج هذا الكتاب تاريخ مصر منذ الفتح العربي الإسلامي لها عام ٢٠هـ/٦٤١م وحتى عام ٨٧٢هـ/١٤٦٨م، ويبدأ الكتاب بمناقشة فتح مصر وفضائلها ومحاسنها وملامحها الجغرافية ونيلها، ونبذة بسيطة عن تاريخها القديم، ثم يستطرد في عرض تراجم حكامها والأحداث التي جرت في عهودهم وأرباب الوظائف وذوي المكانة من السياسيين والقادة والعلماء الذي عاصروا الحاكم أو السلطان متأثراً في ذلك بأسلوب التراجم الذي استهل به ابن تغري بردي مجال الكتابة عموماً. راجع في ذلك: قاسم عبده قاسم: الرؤية الحضارية للتاريخ، قراءة في التراث التاريخي العربي، ط٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥م، ص١٩٩-٢٠٧.

مكتفياً بالحل الأسهل في الوقوف منها على الحياد، وفيما يخص أسلوب عرضه فإنه لم يخلو من الركاكة والاستطراد.

ويبدو منهج ابن تغري بردي جلياً في عرضه للتراجم التي يوجز ما يستحق منها الإيجاز ويسرد ما يرام به الإطالة في موضعه بحيث تظهر شخصيته جلية، ولم يقتصر دوره على عرض الروايات وترتيبها وإنما تدخل أحياناً من واقع رأيه الشخصي حسب ما يراه، ثم يُنبّه القارئ على منهجه الذي اتبعه، ومن ذلك ترجمته لأسدالدين شيركوه "ونذكر ترجمته الآن على هيئة تراجم أمراء مصر، ففي مساق هذه الترجمة وفي سياق تلك الترجمة جَمْع بين القولين، وللناظر فيهما الاختيار فمن شاء يجعله وزيراً ومن شاء يجعله أميراً[1]". وهنا ومن خلال إطار التراجم الذي اتبعه ابن تغري بردي من ناحية وسياقه للأحداث في أسلوب حولي من ناحية أخرى فإنه أفاد الباحث في أكثر من موضع بداية بتقديمه تراجم الشخصيات المهمة التي كثر التعرض لها في هذه الفترة القصيرة، ومنها تراجم كل من نورالدين وشيركوه ونجم الدين أيوب وصلاح الدين وشاور وضرغام والخليفة العاضد الفاطمي وغيرهم ممن ترجم لهم ابن تغري بردي.

وقدم ابن تغري بردي - من خلال العرض العام للتراجم إضافة إلى السياق الحولي الذي صب فيه مادته - مادة مهمة حوت رؤية مهمة ربما لم تكن معاصرة ولكنها فجّرتْ سيلاً من التساؤلات أو جاءت مُدعِمة لما ورد في كتابات المؤرخين السابقين عليه، ومن ذلك إشارته إلى تفاصيل صراع شاور وضرغام على منصب الوزارة بصفته استكمالاً لمسلسل الصراع بين الوزراء السابقين مما أدى إلى إجهاد الدولة الفاطمية[2]، كما أمد الباحث بمادة متنوعة عن حملة عموري الثانية على مصر وحصار عموري لشيركوه في بلبيس[3]، وأشار مثل غيره إلى أثر معركة حارم عام

([1]) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٣٦م، جـ٥، ص٣٨٧.

([2]) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ٥، ص٣٣٨-٣٤٤.

([3]) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ٥، ص٣٨٧-٣٨٨.

١١٦٤م/٥٥٩هـ في تخفيف حدة ضغط عموري على شيركوه في مصر خلال الفترة التالية، وكان له تساؤل مهم للغاية ممثل في عدم توجه شيركوه – عقب معركة البابين - إلى الاستيلاء على مدينة القاهرة وأنه لو فعل ذلك لنجح، وأنه فضّلَ التوجه إلى الإسكندرية[١]، ثم إنه قدّمَ وصفاً لمعركة البابين وترتيب جبهتي القتال وخطة المعركة ووضع القادة وعدد الجيشين[٢]، فضلاً عن إشارته إلى تقديم أهالي الإسكندرية المساعدة لشيركوه قبل معركة البابين ودعوتهم له للقدوم إلى مدينتهم ومساندتهم له بالمال والسلاح طوال مدة حصار الإسكندرية[٣]، وقدم تحليلاً موجزاً عن ملابسات صلح الإسكندرية بين شاور وعموري من ناحية وشيركوه وصلاح الدين من ناحية أخرى[٤].

وأشار ابن تغري بردي إلى أمر على درجة كبيرة من الأهمية، وهو محاولة شاور الاتصال بالملك عموري عقب خروج الأخير منهزماً عام ١١٦٨م/٥٦٤هـ وذلك للتنسيق معه للقدوم إلى دمياط واتخاذها مغرساً له في مصر مما يُمكنه من مصر ولطرد شيركوه منها[٥]، كما أشار ابن تغري بردي إلى ما ذكرته المصادر الأخرى عن أحداث حصار الحلف الصليبي البيزنطي لدمياط عام ١١٦٩م/٥٦٥هـ وإلى إنهاء الخلافة الفاطمية، حيث قدم رواية كبيرة عن الخليفة العاضد، وإلى أحداث مصر خلال الفترة الأخيرة من سياسة عموري الخارجية خصوصاً مؤامرة مؤتمن الخلافة وعمارة اليمني وهجوم الأسطول الصقلي على مدينة الإسكندرية[٦]، وغيرها من المواضع التي أفادت الباحث وأثرت المادة. ولكن يؤخذ على ابن تغري بردي - فيما يخص موضوع الدراسة - أنه لا يتيح فرصة إثبات الباحث للروايات التي انفرد بها، وذلك لأنه أغفل إسناد بعضها، علاوة على ركاكة أسلوبه، وما يشوبه أحياناً من النقل

---

(١) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ٥، ص٣٤٩.
(٢) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ٥، ص٣٤٩.
(٣) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ٥، ص٣٧٣.
(٤) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ٥، ص٣٤٩-٣٥٠.
(٥) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ٥، ص٣٥١.
(٦) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ٦، ص٧-١٥.

الحرفي، وربما عرض الروايات المتناقضة دون ترجيح إحداها فيما يخص الموضوع الواحد.

وهكذا عرض الباحث لأهم ما اعتمدت عليه دراسته من المصادر، سواء كانت لاتينية أم بيزنطية أم أرمنية أم سريانية أم عربية في شكل مبسط أرجو أن يكون مستوفياً لمعظم عناصره.

obeikandl.com